مركز الرضوان
للتأليف والنشر

خليفة الأرض

المنهج السنني في قراءة حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الشيخ حسين رضا زين الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: خليفة الأرض
الغلاف: علي بحسون
الناشر: مركز الرضوان للتأليف والنشر
إخراج، وطباعة: DB UK
جميع الحقوق محفوظة ©
الطبعة الأولى 2015

خليفة الأرض

المنهج السني في قراءة حركة الإمام المهدي عليه السلام

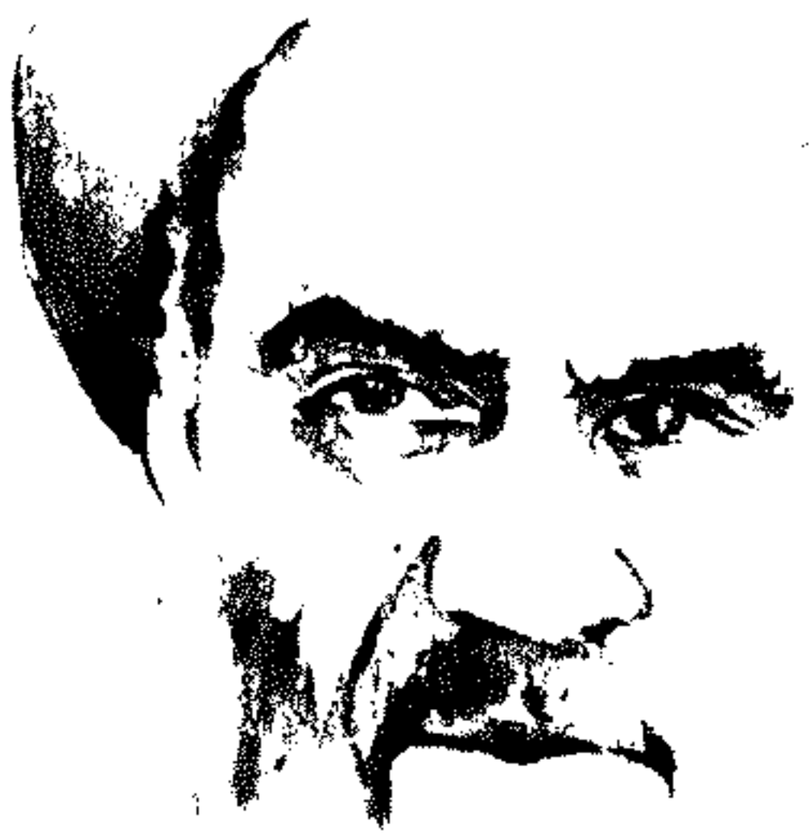

علينـا أن ننتبـه ونعمـل على إعـداد أنفسـنا لظهور الإمـام. أنا لا أسـتطيع أن أطلـق عليـه اسـم القائـد، فهـو أكبر مـن ذلك. ولا أستطيـع أن أقول عنـه الشخص الأول، لأنه لا ثانـي له. فلا يمكننا أن نصفـه بـأي نعت وصفـة سـوى أن نقول المهـدي الموعود. فهـو ذلـك الـذي ادخـره الله للبشريـة. وعلينـا أن نعـد أنفسنا بحيـث إذا كتـب لنـا أن نلقاه- إن شـاء الله-فلنلقاه بوجـه أبيض.

عُدّ انتظـــار الفرج من أفضل الأعمال. ويُعلـــم من ذلك أنّ الانتظار هـــو عمـــلٌ لا بطالةٌ. فـــلا ينبغـــي الاشتبـــاه والتصـــوّر أنّ الانتظار يعنـــي أن نضـــع يـــدًا فوق يـــد ونبقى منتظريـــن حتّى يحـــدث أمرٌ ما. الانتظـــار عملٌ وتهيّـــؤٌ وباعثٌ علـــى الاندفـــاع والحماس في القلـــب والباطن، وهو نشـــاطٌ وتحرّكٌ وتجدّدٌ فـــي كلّ المجالات.

الفهرس

مقدمة..... 9

الفصل الأول: الصراع التاريخي بين الحق والباطل

المبحث الأول: الخلافة والشهادة 17

أولًا: مفهوم الخلافة 17

ثانيًا: مفهوم الشهادة 21

ثالثًا: التمهيد لدور الخلافة..... 23

رابعًا: الأبعاد التي يجب تنميتها في الهوية الإنسانية..... 24

المبحث الثاني: أهداف الأنبياء عليهم السلام 27

أولًا: الأهداف المشتركة للأنبياء عليهم السلام 28

ثانيًا: التحديات الخاصة بكل نبي من الأنبياء أولي العزم عليهم السلام 28

ثالثًا: الانحرافات في مسيرة البشريّة..... 33

المبحث الثالث: الصراع بين الحق والباطل في زمن الإسلام 35

أولًا: خريطة الصراع..... 36

ثانيًا: شرح خريطة الصراع 38

ثالثًا: قراءة في محطات خارطة الصراع..... 39

الفصل الثاني: الغيبة

المبحث الأول: التمهيد للغيبة 53

أولًا: التمهيد العام..... 53

ثانيًا: التمهيد الخاص..... 58

المبحث الثاني: السفراء في زمن الغيبة 73

أولًا: بين السفارة والوكالة 73

ثانيًا: السفراء الأربعة 74

المبحث الثالث: إشكاليات حول الغيبة 83
أولًا: علة الغيبة الصغرى ومدّتها 83
ثانيًا: لماذا توقف عدد الحجج عند 12 معصومًا؟..... 91
ثالثًا: الفرص المترتبة على تهديد الغيبة 95
رابعًا: وجوه الانتفاع بالإمام عليه السلام في زمن الغيبة 97

الفصل الثالث: شرائط الظهور وعلاماته

المبحث الأول: شرائط الظهور 101
المبحث الثاني: صفات ووظائف أتباع الحق في زمن الغيبة 103
أولًا: الصفات على ضوء المهام..... 104
ثانيًا: صفات وأدوار أتباع الحق في الروايات الشريفة 105
ثالثًا: طوائف أتباع الحق بحسب الروايات 107
المبحث الثالث: علامات الظهور 113
أولًا: وظائف علامات الظهور 113
ثانيًا: تقسيم علامات الظهور 114
ثالثًا: البداء وعلامات الظهور..... 131
رابعًا: خلاصات تحليلية على ضوء المنهج السنني..... 135

الفصل الرابع: مفهوم الانتظار وواجبات المنتظر

المبحث الأول: معنى انتظار الفرج 141
المبحث الثاني: واجبات المنتظِر تجاه إمام زمانه 145
أولًا: المسؤولية في معرفة إمام الزمان عليه السلام 145
ثانيًا: المسؤولية في العلاقة مع إمام الزمان عجل الله فرجه 147
خاتمة..... 155
قائمة المصادر والمراجع 157

مقدمة

يشترك أئمة الهدى عليهم السلام في أهداف حركتهم ووظائفهم العامة التي تقتضيها الإمامة المعصومة والحجية الإلهية على البشر، وتختلف أدوارهم في إنجاز هذه الوظائف. ولكن تختلف المعالجة لحركة الإمام المهدي عجل الله فرجه خاصّة عند قراءة سيرة آبائه المعصومين عليهم السلام السياسية والتربوية والجهادية في عدة خصوصيّات منها:

1. محدودية السيرة الشخصيّة: فالإمام عجل الله فرجه وُلِد في ظروف التقيّة المشدّدة ولم يتصدّ للإمامة العلنيّة وبقي مستورًا عن عامة الناس ولم يتشرّف بلقائه إلا عدد قليلٌ من خواص الشيعة من أصحاب أبيه الإمام العسكري عليه السلام.
2. الطبيعة الخاصة لممارسته لمهام الإمامة في ظل الغيبة التي فرضتها التهديدات واختارها له المولى عز وجل سبيلًا لحفظ دينه.
3. ما فرضته الغيبة من تحدّيات عقائدية عملية وفعليّة جديدة لم تكن مطروحة على أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في المراحل السابقة إلا كتساؤلات واستفهامات يطرحها أصحاب الأئمة عليهم السلام لاستيضاح أحوال الشيعة في غيبته وكيفية الانتفاع به ولكنها بقيت في إطار الطروحات النظرية. وقد صنّفت بعض الروايات الشريفة الإيمان به في غيبته كأحد مصاديق الإيمان بالغيب.
4. خصوصيّة بل فرادة الدور والمهمّة الكبرى التي ادّخر بقية الله عجل الله فرجه لأجل تحقيقها من عدّة جهات:
   - مصاحبة الزمان.
   - عالميّة حركته.
   - خاتمية مشروعه.
   - المتطلبات الخاصّة في مسؤوليات أنصاره والممهدين له.

5. ارتباط الاعتقاد به بكمال الرؤية الكونية الدينية من حيث تحقيق الغاية التي جُعل لأجلها آدم ﷺ خليفة في الأرض. وبناءً على الخصوصيات المتقدّمة يتبيّن عدم كفاية المناهج التقليدية في معالجة حركة الإمام الحجّة ﷺ، وتظهر الحاجة إلى اعتماد منهج تلفيقي يجمع بين المعطيات الفلسفية والعقائدية والتاريخية والقرآنية والروائية والسياسية والاجتماعية ويتمثل بقراءة المسار التاريخي لحركة الحجج الإلهيين وتبيين محدّدات الصراع بين الحق والباطل وإيضاح دور المجتمع البشري وتأثير استجابته وإعراضه على حركة الصراع. وقد اخترنا لهذا المنهج اسم المنهج السننيّ، لأن الفهم طبقًا للقوانين الحاكمة على حركة التاريخ وشرائط عملية التغيير يصلح كوعاءٍ أو نظام معرفي يستفيد من جميع المعطيات المتقدّمة في تكوين رؤية نسقيّة موضوعية أكثر وضوحًا من الرؤية التي تقدّمها المناهج التجزيئية. وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي قَدَّسَ سِرَّهُ إلى بعض الشروط المطلوب توفرها في البحث في مسألة المهدوية وهي:

- معرفة قواعد الاستنباط الفقهية.
- القدرة على تقييم الروايات وتصنيفها (علم دراية الحديث).
- امتلاك المذاق الفلسفي.

والشرط الأخير يكشف عن ارتباط وثيق بين قضية المهدوية ومنظومة التفكير الفلسفي الذي يعالج الطروحات الوجودية. وإذا كان البحث عن حركة الإمام المهدي ﷺ فإن هذا الارتباط يصبح أوثق لأن المذاق الفلسفي يؤمّن رؤية شاملة لا تقتصر على إشكالية الولادة وطول العمر والغيبة وعلامات الظهور إنما تضع كلّ ذلك في سياق الضرورات التي تقتضيها العقائد والرؤية الكونية عند الشيعة الإماميّة وتساعد في فهم السنن الحاكمة على حركة الحجج الإلهيين بحسب الإرادة الإلهية المباشرة التي تعلّقت بوجود الحجة ﷺ وحفظه والإرادة الإلهية التي تعلقت بجعل الإنسان مختارًا وما يترتب على ذلك من تحوّلات مرتبطة بحسن أو سوء اختيار هذا الإنسان.

إن قراءة حركة الإمام المهدي ﷺ طبقًا للمنهج السنني تنتج فهمًا متماسكًا

ومنسجمًا لما تقدّمه هذه الحركة المباركة، كما أنها تساهم كثيرًا في توضيح المسارات التي حكمت حركة التاريخ وتمكّن القارئ من استثمار الحقائق الدينية لرسم صورة تقريبية للمستقبل بحيث يستطيع – نسبيًا – أن يتعامل مع الأحداث بخلفية علميّة ناضجة بعيدًا عن العجلة والتوقيت والإفراط في التوقعات أو اليأس والقنوط والاستسلام.

والأهم من كل ذلك هو ما يزرعه هذا المنهج من وعيٍ وبصيرة وتقدير للدور والوظيفة في نفس القارئ حيث يدخل كشريك في صناعة الحدث بمقدار تأثيره الذي تتيحه السنن الإلهية ولا يبقى مشاهدًا ينتظر التحوّلات ومستسلمًا لـ «**القدر**» الذي قد يرى نفسه عاجزًا عن فهمه وتغييره.

ومن النتائج المترتبة على اختلاف مناهج البحث ما له دخالة بالتوقيت المقدّر للظهور الشريف. فإننا نجد من الباحثين من يميل نحو الاعتقاد بأن هناك توقيتًا محدّدًا في الواقع للظهور وسيظهر الإمام ﷺ فيه سواءً تحقّقت الشروط أم لا. ويعتقد صاحب هذا الرأي أنّ الزمن الطويل الذي مرّ على البشريّة تحت ظل الغيبة الكبرى لا يعدو كونه مهلةً إلهيةً «**يصلح الله أمره (الإمام ﷺ) في يومٍ وليلة**» كما ورد في الرواية الشريفة، وتكون لحظة الظهور هي لحظة الإذن الإلهي المؤجّل مئات السنين عند انتهاء المهلة التي أعطاها سبحانه، ولا يرتبط ذلك بتمهيدنا أو عدمه، حققنا شروط نجاح نهضته العالمية أم لا!! فالله سبحانه لم يُقيّد ذلك بالاستجابة البشرية ولا أثر لأفعال الناس واختيارهم بتوقيت تلك اللحظة المنتظرة! وهذه الرؤية عدا عن عدم انسجامها مع قواعد الحكمة الإلهية وسنن التكامل الاختياري فإنها تعارض مع ما ورد في رواية أبي حمزة الثمالي عن مولانا الباقر عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**يا ثابت إن** الله تبارك وتعالى قد كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا أن قُتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخّره إلى أربعين ومائة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر. ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتًا عندنا،

ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب». قال أبو حمزة: فحدّثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال: «قد كان كذلك»[1].

أمّا لو التزمنا ضوابط المنهج السنني التي تُعطي الاختيار الإنساني في ظل الإرادة الإلهية هامشًا حيويًا، فسيصبح للتمهيد المبني على وعي الوظيفة التاريخية والدينية أثرا مهمًّا في تحقيق النصاب الواقعي لشرائط الظهور الشريف كما تؤكد السنّة القرآنية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [2]. هذا النصاب المضمر وإن كان مقداره الواقعي مجهولًا عندنا إلا أنّ فهمنا لحركة الإمام عجل الله فرجه بناءً على السنن يُلزمنا الاعتقاد بأصل وجوده في المخطّط الإلهي. ويتركّز جهدنا على ما يجب علينا كمكلّفين وفاعلين لتحقيق المقدار الذي لا نعلم نسبته المئوية من كامل الشروط وعند ذلك يتحصّل الرضا الإلهي وتجري ألطافه فـ «يصلح أمره عجل الله فرجه في يوم وليلة». وبذلك يرتفع وهم التعارض بين الإرادة الإلهية التي تعلّقت بالزمن المقدّر للظهور ووظيفة الممهدين في تحقيق بعض الشروط المأخوذة في التقدير الإلهي نفسه. ولهذا الفهم انعكاسات ثقافية وتربوية خطيرة على بناء الشخصية الرسالية وفهم الانتظار الذي رفعه بعض روايات المعصومين إلى رتبة «أفضل الأعمال»[*].

إنّ ما يدعو إلى هذا الفهم هو مقتضى السنن من سيرة الأنبياء في القرآن الكريم وسيرة المعصومين الثابتة تاريخيًا والضوابط العقائدية عند حكماء الإمامية والتي تُظهر أن الحجيّة الظاهرة التي تتصدّى لكل ميادين الهداية هي الأصل في حركة الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأن الغيبة والاحتجاب استثناءٌ تقتضيه الظروف التاريخية المرتبطة بأهلية البشرية أو خصوص معسكر أهل الحق لحمل المسؤولية والاستجابة لإرادة الحجج وقيادتهم. فالغيبة إذًا لها أسباب موضوعيّة ليست مرتبطة قطعًا بخطأ في التقدير الإلهي ولا

---

(1) الكليني، **الكافي**، ط2، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1389هـ، ج1، كتاب الحجّة، باب كراهية التوقيت، ح1.

(2) سورة الرعد، الآية 11.

(*) ورد في **بحار الأنوار** (ج52، ص122) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل**».

بتقصيرٍ من نفس الحجج والخلفاء الإلهيين إنما بالعنصر الثالث وهو العنصر الاختياري في الإنسان. وعليه فلا يمكن تفسير الظهور الشريف بمعزلٍ عن فهم أسباب الغيبة، وعليه يكون جواب السؤال عن متى يظهر الإمام ﷺ – بشكلٍ بسيط – عندما تنتفي أسباب الغيبة!! وقد ذكرنا بعض النتائج لهذا المنهج في الفصل الثالث من هذه المادة تحت عنوانى «البداء، وخلاصات تحليلية».

بين يديك أيها القارئ العزيز، كتابٌ يُعالج قضيّة دينية من أخطر القضايا أهميةً وتأثيرًا في الوجدان البشري لأنها مرتبطة بمصير الإنسان الاجتماعي كإنسان، وبسعادته الدنيوية والأخروية كمتدين، وهي قضية المهدوية.

ولقد حاولنا في هذا الكتاب أن نضع المعالجة في إطار منهجي يُساعد على تكوين تصوّر متناسق لمجموع الحقائق الدينية والتاريخية، ويصلح قالبًا ووعاءً للمعارف التي اكتسبتَها من مصادر أخرى. لذا لم تكن العناية كبيرة بضخ المعلومات والنصوص، إنما كانت العناية بربط المعلومات في سياق تحليلي قائم على رؤية أصيلة لحركة التاريخ والإنسان، تبدأ بالهدف من إيجاد الإنسان وتنتهي بصورة تحقيق ذلك الهدف.

وبعد اختيار العنوان العلمي للكتاب وهو «**المنهج السنني في قراءة حركة الإمام المهدي** ﷺ» اقترح أحد الإخوة اختيار اسمٍ مختصر للكتاب لتسهيل تداوله ولتناسب ذلك مع المعايير الفنيّة، فلجأنا إلى كتاب الله المجيد مستفتحين به فخرجت الآية 39 من سورة فاطر ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وفي الصفحة نفسها في الآية 43 قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ فوقع في النفس اختيار عنوان «**خليفة الأرض**» إلى جانب العنوان العلمي السابق.

وقد قسّمنا الكتاب إلى فصول أربعة:

1. **الفصل الأول** يعالج قضية الصراع بين الحق والباطل، مبتدِئًا ببيان مفهومي الخلافة والشهادة، ومن بعدها يستعرض أهداف الأنبياء أولي العزم عليهم السلام، ليخصص البحث بعدها في الحقبة الإسلامية وأهم محطات ومفاصل صراع الحق والباطل فيها.

2. **الفصل الثاني** يعرض كيفية التمهيد للغيبة، ويلقي الضوء على مهام السفراء، ويبيّن الفرق بين السفارة والوكالة، كما يجيب عن أبرز الإشكاليات حول الغيبة الصغرى والكبرى.
3. **الفصل الثالث** يبحث مفهومي شرائط الظهور وعلاماته، ويوضح الفرق بينهما، ويستعرض أهم شرائط وعلامات الظهور، ويعالجها وفق المنهج السنني.
4. **الفصل الرابع** والأخير يعالج قضية الانتظار، فيوضح المعنى الحقيقي لانتظار الفرج، ويبيّن المهام والمسؤوليات المطلوبة من المنتَظِر، والصفات التي يجب أن تتحقق فيه.

ويبقى أن نسأل الله سبحانه إخلاص النيّة والتوفيق لشروط القبول بين يدي طاعته ومعرفة حجته عجل الله فرجه.

الفصل الأول

الصراع التاريخي بين الحق والباطل

يعتبر الصراع بين الحق والباطل صراعًا تاريخيًا، رافق الإنسان منذ خلقه. وقد تصدّر الأنبياء العظام عليهم السلام قيادة هذا الصراع كشهداء على الحق وخلفاء لله في أرضه.

لذا سنبدأ هذا الفصل بالحديث عن مفهومي الخلافة والشهادة، مقتبسين جُزءًا من كلام المفكر الكبير السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رض) لننتقل بعدها إلى الحديث عن أهداف الأنبياء أولي العزم عليهم السلام وأبرز التحديات التي واجهوها، لنختم بعرض خريطة صراع الحق والباطل في زمن الإسلام.

الخلافة والشهادة

أولًا: مفهوم الخلافة[1]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

إنَّ الله سبحانه وتعالى شرّف الإنسان بالخلافة على الأرض، فكان الإنسان متميِّزًا عن كلِّ عناصر الكون بأنّه خليفة الله على الأرض، وبهذه الخلافة استحقّ أن تسجد له الملائكة، وتدين له بالطاعة كلّ قُوى الكون المنظور وغير المنظور.

---

(1) انظر: الصدر، محمد باقر. **خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء**، دار المعارف الحكمية، بيروت، 2014، ص ص51-78.

(2) سورة البقرة، الآيات30-33.

والخلافة ليست استخلافًا لشخص آدم عليه السلام، بل للجنس البشري كلِّه، لأنّ من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وفقًا لمخاوف الملائكة ليس آدم بالذات، بل الآدمية والإنسانية على امتدادها التاريخي. فالخلافة إذن قد أعطيت للإنسانية على الأرض، ولهذا خاطب القرآن الكريم المجتمع البشري في مراحل متعدّدة وذكّرهم بأنّ الله قد جعلهم خلائف في الأرض: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[1]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]، وكان آدم هو الممثِّل الأول لها بوصفه الإنسان الأول الذي تسلّم هذه الخلافة وحظي بهذا الشرف الربّاني، فسجدت له الملائكة ودانت له قُوى الأرض.

وكما تحدّث القرآن الكريم عن عملية الاستخلاف من جانب الله تعالى، كذلك تحدّث عن تحمّل الإنسان لأعباء هذه الخلافة بوصفها أمانةً عظيمةً ينوء الكون كلّه بحملها. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3].

ومعنى أن تكون الخلافة أمانة واستئمانًا، يفترض المسؤولية والإحساس بالواجب، إذ بدون إدراك الكائن أنّه مسؤول لا يمكن أن ينهض بأعباء الأمانة أو يُختار لممارسة دور الخلافة: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[4].

والمسؤولية علاقة ذات حدَّين:

1. فهي من ناحية تعني الارتباط والتقيّد، فالجماعة البشرية التي تتحمّل مسؤوليات الخلافة على الأرض إنّما تمارس هذا الدور بوصفها خليفةً عن الله، ولهذا فهي غير مخوّلة أن تحكم بهواها أو باجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى، لأنّ هذا يتنافى مع طبيعة الاستخلاف، وإنّما تحكم بالحق وتؤدي إلى الله تعالى أمانته بتطبيق أحكامه على عباده وبلاده.

---

(1) سورة الأعراف، الآية 69.

(2) سورة يونس، الآية 14.

(3) سورة الأحزاب، الآية 72.

(4) سورة الإسراء، الآية 34.

وبهذا تتميّز خلافة الجماعة بمفهومها القرآني والإسلامي عن حكم الجماعة في الأنظمة الديمقراطية الغربية، فإنّ الجماعة في هذه الأنظمة هي صاحبة السيادة، ولا تنوب عن الله في ممارستها، ويترتّب على ذلك أنّها ليست مسؤولةً بين يدي أحد، وغيرُ ملزمة بمقياس موضوعيٍّ في الحكم، بل يكفي أن تتّفق على شيء ولو كان هذا الشيء مخالفًا لمصلحتها ولكرامتها عمومًا، أو مخالفًا لمصلحة جزء من الجماعة وكرامته ما دام هذا الجزء قد تنازل عن مصلحته وكرامته.

وعلى العكس من ذلك حكم الجماعة القائم على أساس الاستخلاف، فإنّه حكم مسؤول، والجماعة فيه ملزمة بتطبيق الحقّ والعدل، ورفض الظلم والطغيان، وليست مخيَّرةً بين هذا وذاك، حتّى إنّ القرآن الكريم يسمّي الجماعة التي تقبل بالظلم وتستسيغ السكوت عن الطغيان بأنّها «ظالمة لنفسها»، ويعتبرها مسؤولةً عن هذا الظلم ومطالبةً برفضه بأيِّ شكل من الأشكال ولو بالهجرة والانفصال إذا تعذّر التغيير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

2. وتعني المسؤولية من ناحية أخرى أنّ الإنسان كائن حرّ، إذ بدون الاختيار والحرّية لا معنى للمسؤولية، ومن أجل ذلك كان بالإمكان أن يستنتج من جعل الله خليفةً على الأرض أنّه يجعل الكائن الحرّ المختار، الذي بإمكانه أن يصلح في الأرض وبإمكانه أن يفسد أيضًا، وبإرادته واختياره يحدِّد ما يحقِّقه من هذه الإمكانات: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2].

وأكبر الظنِّ أنّ هذه الحقيقة هي التي أثارت في نفوس الملائكة المخاوف من مصير هذه الخلافة وإمكانية انحرافها عن الطريق السويّ إلى طريق الفساد وسفك الدماء، لأنّ صلاح المسيرة البشرية لمّا كان مرتبطًا بإرادة هذا الإنسان الخليفة ولم يكن

(1) سورة النساء، الآية 97.

(2) سورة الإنسان، الآية 3.

مضمونًا بقانون قاهر كما هي الحالة في كلّ مجالات الطبيعة فمن المتوقّع أن تجد إمكانيةُ الإفساد والشرّ مجالًا لها في الممارسة البشرية على أشكالها المختلفة. وكأنّ الملائكة هالَهم أن توجد لأوّل مرّة طاقة محايدة يتعادل فيها الخير والشرّ ولا تُضبط وفقًا للقوانين الطبيعيّة والكونية الصارمة التي تسيّر الكون بالحكمة والتدبير، وفضّلوا على ذلك الكائن الذي يولد ناجزًا مصمَّمًا لا فراغ في سلوكه، تتحكّم فيه باستمرار قوانين الكون كما تتحكّم في الظواهر الطبيعية.

ومن هنا قدَّموا أنفسهم كبديل عن الخليفة الجديد، ولكن فاتهم أنّ الكائن الحرّ الذي جعله الله تعالى خليفةً في الأرض لا تعني حرّيته إهمال الله تعالى له، بل تغيير شكل الرعاية، فبدلًا عن الرعاية من خلال قانون طبيعيّ لا يتخلّف كما تُرعى حركات الكواكب ومسيرة كلّ ذرّة في الكون، يتولّى الله سبحانه وتعالى تربية هذا الخليفة وتعليمه لكي يصنع الإنسان قَدَره ومصيره، وينمّي وجوده على ضوء هدىً وكتاب منير.

ومن هنا علّم الله تعالى آدم الأسماءَ كلَّها، وأثبت للملائكة من خلال المقارنة بينه وبينهم أنّ هذا الكائن الحرّ الذي اجتباه للخلافة قابل للتعليم والتنمية الربّانية، وأنّ الله تعالى قد وضع له قانون تكامله من خلال خطٍّ آخر يجب أن يسير إلى جانب خطّ الخلافة، وهو خط الشهادة الذي يمثّل القيادة الربّانية والتوجيه الربّاني على الأرض.

إنّ الملائكة لاحظوا خطّ الخلافة بصورة منفصلة عن الخطّ المكمِّل له بالضرورة، فثارت مخاوفهم. وأمّا الخطّة الربّانية فكانت قد وضعت خطّين جنبًا إلى جنب: أحدهما خطّ الخلافة، والآخر خطّ الشهادة الذي يجسّده شهيد ربّاني يحمل إلى الناس هدى الله ويعمل من أجل تحصينهم من الانحراف، وهو الخطّ الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة، الآية 38.

ثانيًا: مفهوم الشهادة

وضع الله سبحانه وتعالى إلى جانب خطّ الخلافة (خلافة الإنسان على الأرض) خطّ الشهادة الذي يمثّل التدخّل الربّاني من أجل صيانة الإنسان الخليفة من الانحراف وتوجيهه نحو أهداف الخلافة الرشيدة، فالله تعالى يعلم ما توسوس به نفس الإنسان، وما تزخر به من إمكانات ومشاعر، وما يتأثّر به من مغريات وشهوات، وما يصاب به من ألوان الضعف والانحلال، وإذا تُرك الإنسان ليمارس دوره في الخلافة بدون توجيه وهدىً كان خلقه عبثًا ومجرّدَ تكريس للنزوات والشهوات وألوان الاستغلال، وما لم يحصل تدخّل ربّاني لهداية الإنسان الخليفة في مسيره فإنّه سوف يخسر كلّ الأهداف الكبيرة التي رُسِمت له في بداية الطريق.

وهذا التدخّل الربّاني هو خطّ الشهادة. وقد صنّف القرآن الكريم الشهداء إلى ثلاثة أصناف فقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾[1].

والأصناف الثلاثة على ضوء هذه الآية هم النبيّون والربّانيّون والأحبار. والأحبار هم علماء الشريعة، والربّانيّون درجة وسطى بين النبيّ والعالم وهي درجة الإمام.

ومن هنا أمكن القول إنّ خطّ الشهادة يتمثّل في:

1. الأنبياء عليهم السلام.
2. الأئمّة عليهم السلام الذين يُعتبَرون امتدادًا ربّانيًا للنبيّ في هذا الخطّ.
3. مرجعية الولي الفقيه والفقهاء التي تعتبر امتدادًا للنبيّ والإمام في خطّ الشهادة.

والشهادة على العموم يتمثّل دورها المشترك بين الأصناف الثلاثة من الشهداء فيما يلي:

1. استيعاب الرسالة السماوية والحفاظ عليها: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾[2].

---

(1) سورة المائدة، الآية 44.

(2) سورة المائدة، الآية 44.

2. الإشراف على ممارسة الإنسان لدوره في الخلافة ومسؤولية إعطاء التوجيه بالقدر الذي يتّصل بالرسالة وأحكامها ومفاهيمها.
3. التدخّل لمقاومة الانحراف واتّخاذ كلّ التدابير الممكنة من أجل سلامة المسيرة.

فالشهيد مرجع فكري وتشريعي من الناحية الإيديولوجية، ومشرف على سير الجماعة وانسجامه إيديولوجيًا مع الرسالة الربّانية التي يحملها، ومسؤول عن التدخّل لتعديل المسيرة أو إعادتها إلى طريقها الصحيح إذا واجه انحرافًا في مجال التطبيق.

وبالمقارنة بين آيات الشهادة في القرآن الكريم نستخلص شروط الشهيد:

1. العدالة، وهي الوسطية والاعتدال في السلوك، الذي عبَّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1].
2. العلم واستيعاب الرسالة، وهو استحفاظ الكتاب الذي عُبّر عنه قرآنيًا بقوله سبحانه: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[2].
3. الوعي بالواقع القائم، وهو مستبطن في الرقابة التي يفترضها مقام الشهادة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، إذ لا معنى للرقابة بدون وعي وإدراك لِمَا يراد من الشهيد مراقبته من ظروف وأحوال.
4. الكفاءة والجدارة النفسية، التي ترتبط بالحكمة والتعقّل والصبر والشجاعة، وهي الإمكانات التي توخّى الله سبحانه وتعالى تحقيقها في الصالحين من عباده من خلال المِحَن والتجارب والمعاناة الاجتماعية في سبيل الله وربط بها مقام الشهادة فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾[4]، فالله تعالى يسلّي المؤمنين ويصبِّرهم على المحن، ويبعث في نفوسهم العزيمة ويعِدهم بمقام الشهادة إذا اجتازوا التجارب والمحن صابرين.

---

(1) سورة البقرة، الآية 143.
(2) سورة المائدة، الآية 44.
(3) سورة المائدة، الآية 117.
(4) سورة آل عمران، الآية 140.

وهكذا نخرج من ذلك بأنّ الشهيد سواء كان نبيًا أو إمامًا أو (فقيهًا(*)). يجب أن يكون عالمًا على مستوى استيعاب الرسالة، وعادلًا على مستوى الالتزام بها والتجرّد عن الهوى في مجال حملها، وبصيرًا بالواقع المعاصر له، وكفوءًا في ملكاته وصفاته النفسية، وهذه الصفات هي التي أُخذت في الولي الفقيه العادل العالم الكفوء.

ثالثًا: التمهيد لدور الخلافة

لكي يكون مسار الخلافة مسارًا ناجحًا كان لا بد أن يكون المستخلف الأول حجّة، فكان آدم عليه السلام هو الممثّل الأول للإنسانية التي استخلفها الله تعالى على الأرض.

وبدأ آدم عليه السلام حياته كما يبدأ أيّ إنسان آخر حياته في هذه الدنيا مع فارق جوهري، وهو أنّ كلّ إنسان يمرّ في مرحلة الطفولة بدور احتضان إلى أن يبلغ رشده، لأنّ هذه المرحلة لا تسمح للإنسان بالاستقلال ومواجهة مشاكل الحياة وتحقيق أهداف الخلافة، فلا بدّ من حضانة ينمو الطفل من خلالها ويُربّى في إطارها إلى أن يستكمل رشده.

وكلّ طفل يجد عادةً في أبويه وجوّهما العائلي الحضانةَ اللازمةَ له، غير أنّ الإنسان الأول آدم الذي لم ينشأ في جوٍّ عائليٍّ من هذا القبيل كان بحاجة إلى دار حضانة استثنائية يجد فيها التنمية والتوعية التي تؤهِّله لممارسة دور الخلافة على الأرض، من ناحية فهم الحياة ومشاكلها المادّية، ومن ناحية مسؤولياتها الخلقية والروحية. وقد عبّر القرآن الكريم عن دار الحضانة الاستثنائية التي وُفِّرت للإنسان الأول بالجنّة، إذ حقّق الله تعالى في هذه الجُنَينة الأرضية لآدم وحوّاء كل وسائل الاستقرار وكفل لهما كل الحاجات: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[1] (*).

(*) في النص الأصلي عبّر السيد الشهيد بلفظ (مرجعا) وهو المصطلح الذي كان رائجًا في أدبيات الحوزة العلمية للدلالة على منصب نائب الإمام المعصوم عليه السلام والذي أراد الشهيد الصدر توسيع دائرة ولايته لتشمل التصدي للشؤون العامة للمسلمين والقيادة السياسية. وكما يصرّح هو نفسه لبعض تلامذته في النجف الأشرف بعدما نُقل له ما طرحه الإمام الخميني (قدس) في كتاب الحكومة الإسلامية في بحث ولاية الفقيه بقوله: «هو عين ما قصدته بالمرجعية الرشيدة».

(1) سورة طه، الآيتان118و119.

(*) إلى هنا ينتهي الاقتباس الحرفي من كلام السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) في كتاب «خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء».

رابعًا: الأبعاد التي يجب تنميتها في الهوية الإنسانية

توجد مجموعة من الأبعاد التي يجب تنميتها عند كل إنسان، لأنها تعتبر ركيزة الهوية الإنسانية، وهذه الأبعاد يمكن اختصارها بمحورين اثنين:

1. **العلم والمعرفة**، وقد تمّ ذلك بتعليم آدم عليه السلام الأسماء كلها.
2. **الإرادة والعزم**، وهذا البعد الكمالي المحوري لا يمكن تنميته بالتعليم فقط، بل لا بد من صناعته بالتجربة المباشرة، فالإرادة تنمو وتتكامل بمواجهة التحديات. والإرادة المساوقة في معناها للاختيار الحر تستلزم تكامل التوازن بين قدرتين، القدرة على الترك والقدرة على الفعل. بحيث تمتلك الإرادة السيطرة على الهوى والغريزة، فلا تضعف أمام إلحاحهما لترتكب الحرام. وتمتلك أيضًا الدافع نحو الاستجابة للأوامر في امتثال الواجبات. ولعلّ البعد التَركي في الإرادة هو الأولى في التربية، لذلك نجد أنّ ترك المحرمات أولى من فعل الواجبات، والورع عن المحارم أفضل أعمال الصائم. والصوم تشريع يسهم بشكل فاعل في تعزيز الجانب التَركي، لأن حقيقة الصوم هي الإمساك والتَرك، وغايته التقوى. ولعله اختصّ بكونه لله في الحديث القدسي: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[1] لهذا الاعتبار، حيث إنه لا يداخله الرياء والشرك في نفسه، وجزاؤه فيه وليس فقط بالثواب المترتب عليه. فالصوم يقوّي جهة التَرك في الإرادة بتَرك ما هو محلل معتاد عليه في غير الصوم، فتتحصّل القدرة على تَرك المحرّم الذي لم يعتد عليه في غير الصوم سواء في شهر رمضان أم في غيره.

ولذلك كان لا بدّ من مرور فترة تنمو فيها تجربة هذين الإنسانين (آدم وحوّاء) وتصل إلى الدرجة التي تُتيح لهما أن يبدءا مسيرتهما في الأرض وكدحهما نحو الله من خلال ممارسة أعباء الخلافة، وكذلك كان لا بدّ في هذه الفترة من تربية الإحساس الخُلقي وزرع الشعور بالمسؤولية وتعميقه في نفس الإنسان، وذلك عن طريق امتحانه بما يوجّه إليه من تكاليف وأوامر.

---

(1) الكليني، **الكافي**، م.س، ج4، ص63.

وكان أوّل تكليف وُجِّه إليه أن يمسك عن شجرة معيّنة في تلك الجُنينة، ترويضًا للإنسان الخليفة على أن يتحكّم في نزواته، ويكتفي من الاستمتاع بطيّبات الدنيا بالحدود المعقولة من الإشباع الكريم، ولا ينساق مع الحرص المحموم على المزيد من زينة الحياة الدنيا ومتعها وطيّباتها، لأنّ هذا الحرص هو الأساس لكلّ ما شهده المسرح بعد ذلك من ألوان استغلال الإنسان للإنسان.

وقد استطاعت المعصية(*) التي ارتكبها آدم بتناوله من الشجرة المحرَّمة أن تُحدث هزّةً روحيةً كبيرةً في نفسه، وتفجّر في أعماقه الإحساس بالمسؤولية من خلال مشاعر الندم. وطفق في اللحظة يخصف من ورق الجنة ويضعه على جسده ليواري سوءته، ويستغفر الله تعالى لذنبه.

وبهذا تكامل وعيه وظهرت إرادته في الوقت الذي كانت قد نضجت لديه خبرات الحياة المتنوّعة وتعلّم الأسماء كلها، فحان الوقت لخروجه من الجنة إلى الأرض التي استخلف عليها ليمارس مسيرته نحو الله من خلال دوره في الخلافة.

وأحرز من خلال هذا الاختبار التربوي ما يناسب وظيفته النبوية في الأرض، وهو البعد الإرادي، بعد أن أحرز البعد المعرفي والإدراكي بتعليم الله تعالى له الأسماء وإكسابه أسرار الخلقة ووسائل الشفاعة بالتوسل بأسماء محمد وآله ﷺ، فقد فسّر الأئمة عليهم السلام الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، بأنها أسماء أهل البيت عليهم السلام، ونقل أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره عن أهل البيت عليهم السلام: «أن آدم رأى مكتوبًا على العرش أسماء معظمة مكرّمة، فسأل عنها، فقيل له: هذه أسماء أجلّ الخلق منزلة عند الله تعالى، والأسماء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فتوسّل آدم إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته»[1].

(*) المعصية هنا بمعنى المخالفة الجائزة على آدم عليه السلام قبل نبوته وحجيته على أهل الأرض، وغير الضارة بعصمته كنبي سواء حملناها على معنى المخالفة للأمر الإرشادي غير المولوي، أم على معنى حسنات الأبرار سيئات المقربين. ومن القرائن على عدم الإضرار بتكامله عليه السلام الالتفات إلى أن حاله بعد المعصية صار أكمل لما اكتسبه من تجربة وخبرة ويقظة ومعرفة بعدوه وأساليبه ونقاط ضعفه والهزة النفسية التي أذاقته طعم التوبة، وهذا الأمر لا يجوز عليه في دار التكليف.

(1) الطبرسي، **مجمع البيان**، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، 1997، ج1، ص175.

أهداف الأنبياء

بعد أن هبط آدم عليه السلام من الجنّة، بدأت مسيرة الخلافة البشرية على الأرض، وبدأت معها مسيرة الشهداء الأنبياء وفق مخطط إلهي لتحقيق تكامل البشرية وارتقائها في الفضائل.

وقد سعى الأنبياء العظام عليهم السلام إلى تحقيق أهداف مشتركة تعتبر مداميك أساسية لتكامل البشريّة، كما كان لكل نبي من الأنبياء، خصوصًا أولي العزم، تحدٍ محوري خاص فرضه الواقع وضرورات التكامل المرحلي للمشروع الإلهي.

ولخصوصية دور ووظيفة أولي العزم من الأنبياء عليهم السلام الذين يعتبرون محاور الحركة الإنسانية، فإننا سنقصر الحديث عليهم، ففهم حركتهم يؤمن فهم المسار التاريخي بأكمله، لأنهم يمثلون المحطات الأساسية من تاريخ البشرية[1]، فهم كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «سادة النبيّين والمرسلين خمسة وهم أولو العزم من الرسل وعليهم دار الرحى، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء»[2]. لذا سنعرض

---

(1) بركات، أكرم، **قافلة البشرية**، بيت السراج للثقافة والنشر، بيروت، 2014، ص15.

(2) الكليني، **الكافي**، م.س، ج1، ص175.

الأهداف المشتركة لأولي العزم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، والتحدي المحوري الخاص بكل منهم.

أولًا: الأهداف المشتركة للأنبياء عليهم السلام

للأنبياء عليهم السلام جميعًا أهداف مشتركة يريدون أن يوصلوا الناس إليها؛ منها ما يتعلّق بالمعارف، ومنها ما يتعلق بتهذيب النفس، ومنها ما يتعلّق بالعمل الصالح، إلّا أنّ جميع هذه الأهداف ترجع إلى هدف سام بُعث الأنبياء عليهم السلام لأجله، وتعتبر جميع تلك الأهداف مقدمة له، ألا وهو معرفة الناس بالله والعالم، وإراءة العالم كما هو، لا بالشكل الذي ندركه، وإيصال البشرية إلى كمالها في ظل الحاكميّة الإلهية. ولأجل تحقيق هذا الهدف عمل الأنبياء عليهم السلام على[1]:

1. نشر التوحيد، وإخراج الناس من ظلمة الشرك وظلمه إلى عبادة الله الواحد.
2. تحرير الناس من أسر النفس، لأن النفس هي شيطان كبير، تميل بالإنسان نحو رغباتها الأرضية وتحجبه عن كمالاته المعنوية.
3. إقامة القسط والعدل بين الناس.

ثانيًا: التحديات الخاصة بكل نبي من الأنبياء أولي العزم

قلنا إنه بالإضافة إلى الأهداف المشتركة التي سعى لتحقيقها جميع الأنبياء عليهم السلام، فإن لكلٍ من أولي العزم عليهم السلام تحديًا محوريًا فرضته الظروف التي عاش فيها، أي كل نبي من الأنبياء أولي العزم عليهم السلام عمل على إنجاز نقلة نوعية في مسار البشريّة وفق المخطط الإلهي المرسوم لها، ولو تجاوب الناس معه لتمّت هذه النقلة بشكلها الأكمل، ولتحقق المسار الإلهي المرسوم للبشرية. وهذه التحديات هي على الشكل التالي:

---

(1) من كلام للإمام الخميني: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني. **منهجية الثورة الإسلامية**: مقتطفات وآراء من فكر الإمام الخميني. طهران، 1966، ص48 و50.

1. **النبي نوح** عليه السلام: كان عنوان عمل النبي الأول من الأنبياء أولي العزم عليهم السلام هو بناء مجتمع الإيمان بالرسل، بسبب إنكار الناس للتواصل بين الله والناس بواسطة بشرية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[1].

فما يُفهم من هذه الآية أن مشكلة قوم النبي نوح عليه السلام لم تكن الإيمان بالله تعالى، ولا في تقبّل أصل التواصل بين الله عزّ وجلّ والإنسان، بل هي في كون الوسيط في هذا التواصل هو إنسان مثلهم[2]. وتكمن خطورة هذا التحدي في كون إثبات الواسطة البشرية شرطًا ضروريًا لفتح باب التصديق بالنبوات اللاحقة. ولعلّ طبيعة العقوبة الإلهية الشاملة، وهي الطوفان، تدل على أهميّة إعادة تأسيس المجتمع البشري على قاعدة الإيمان حيث بقي من قوم نوح عليه السلام من آمن به فقط، وأُغرِق الباقون.

2. **النبي إبراهيم** عليه السلام: هدف النبي الثاني من الأنبياء أولي العزم، كان بناء مجتمع التوحيد، وتعميق العلاقة بالغيب. فبعدما تأصّل مبدأ الرسول الإنسان، كان تحدي النبي إبراهيم عليه السلام بناء مجتمع موحّد مؤمن بالله تعالى نابذ للتماثيل والأصنام.

وقد سعى النبي إبراهيم عليه السلام إلى بناء مجتمع التوحيد بمستوياته ومراتبه المتعددة:

- التوحيد في الربوبية: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[3].

---

(1) سورة المؤمنون، الآيتان 23-24.

(2) بركات، أكرم، **قافلة البشرية**، م.س.، ص17.

(3) سورة الأنبياء، الآيات 51-56.

- التوحيد في العبادة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].
- التوحيد في الحب: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]. والتوحيد في الحب هنا واضح، باعتبار إخراج كل ما سوى الله من القلب، حتى ولو كان ولده الذي أنجبه بعد طول انتظار.

3. **النبي موسى** عليه السلام: بعد العبور من محطّة التواصل مع الله تعالى عبر الرسول الإنسان، إلى محطّة مجتمع التوحيد، أراد الله تعالى أن يُرقّي المجتمع إلى محطة ثالثة بأن يتحوّل مجتمع التوحيد إلى مجتمع تشريعي يعيش أفراده في ضوء الشريعة الإلهية، وكان قائد هذه المحطّة النبي موسى عليه السلام.

وميزة شريعة موسى عليه السلام أن فيها تفصيلًا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾[4].

ولعلّ بلوغ البنية التشريعية هذا المستوى من النضج هو الذي أهّل رسالة النبي موسى عليه السلام للتمهيد لإقامة نموذج الإدارة التنفيذية لو أطاع بنو إسرائيل نبيّهم عليه السلام في دخول فلسطين. ولأجل دفع المسار التكاملي للتخطيط الإلهي على المستوى التنفيذي يمكن اعتبار مملكة سليمان عليه السلام مثالًا - ولو إعجازيًا - لما

---

(1) سورة إبراهيم، الآيتان35و36.

(2) سورة الصافات، الآيات 104-111.

(3) سورة الأنعام، الآية 154.

(4) سورة الأعراف، الآية 145.

يمكن أن تنعم به البشرية من سلطان وهيبة وعدالة وأمن ورفاه في ظل النبوات لو أطاع الناس أولياءهم الإلهيين. وبما أن التكامل يجب أن يكون اختياريًا، وبمقتضى السياق التكاملي للتخطيط الإلهي، انتقلت مهمة إقامة النموذج التنفيذي إلى نبي الله عيسى عليه السلام، وكل ذلك بشرط الاستجابة البشرية الاختيارية التي لم تحصل. ولعلّ ما أظهره الله سبحانه من سلطانه على يد نبي الله سليمان عليه السلام كان لإبراز القدرة الإلهية على تطويع الكائنات بالقهر وتمكينًا للمسار النبوي بين مرحلتين من أولي العزم. ولأن التكامل المطلوب إلهيًا هو التكامل الإختياري فتكون مرحلة الملك التسخيري السليماني مرحلة تمهيدية لما يليها.

4. **النبي عيسى** عليه السلام: المحطة التالية بعد بناء المجتمع التشريعي وفي سياق المخطط الإلهي الحكيم كانت تأسيس الجهاز التنفيذي للنظام التشريعي عبر إقامة نموذج الحكومة الإلهية. فمهمة النبي عيسى عليه السلام كانت إقامة الحكومة الإلهية الممهدة للحكومة الكبرى التي سيقيمها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ولقولنا الحكومة الممهدة لا الحكومة الكبرى شواهد عديدة، أبرزها أنّ مجال دعوة النبي عيسى عليه السلام كانت المجتمع اليهودي، لذا من الطبيعي أن يكون هدفه بناء نموذج للحكومة الإلهية في ذلك المجتمع.

وبما أن الناس لم تستجب للنبي عيسى عليه السلام رفعه الله تعالى إليه، لينزله لاحقًا في زمن الإمام المهدي عجل الله فرجه قائد محطة تحقيق الحكومة الإلهية الكبرى، ليؤازره ويشاركه صناعة الحكومة الإلهية العالمية، كما أكّدت النصوص الإسلامية التي منها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ينزل عيسى ابن مريم... بيده حربة، يكسُر الصليب،** ويقتل الخنزير، ويُهلك الدجّال، ويقبض أموال القائم، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه»[1].

(1) البحراني، هاشم، غاية المرام، تحقيق علي عاشور،ج7، ص93.

5. **الرسول الأعظم محمّد** ﷺ: إضافة إلى ترسيخ الأهداف المفصلية لأولي العزم عليهم السلام بما يتناسب مع كمال الإسلام في:
   - تخليد الواسطة البشرية مع الغيب.
   - تعزيز مراتب التوحيد.
   - اكتمال النظام التشريعي.
   - وجود الضمانة القيادية (أهل البيت عليهم السلام).

فتحصّل أنّ تمام المشروع الإلهي وكماله يكون بالنبي الخاتم محمد ﷺ الذي يُقيم الحكومة الإلهية الكبرى، ويظهر دينه على كلّ الأديان، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1].

لكن من مجريات التاريخ يتضح أنّ هذه النبوءة لم تتحقق في زمن الرسول الأكرم ﷺ، وهذا يعني أن دين الرسول الأعظم محمّد ﷺ، وهو الإسلام، سيكون دين الحكومة الإلهية العالميّة بغياب شخص النبي محمد ﷺ.

وهذا الأمر أكّده الرسول الأكرم ﷺ نفسه حينما تحدّث عن حتميّة وصول قافلة البشرية إلى كمالها، ولكن بعد حين، بقوله ﷺ: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلًا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا**»[2].

إذن المرحلة الأخيرة من المخطط الإلهي المتمثلة بإقامة الحكومة الإلهية الكبرى، التي هي أعلى مراتب كمال البشريّة، ستتحقق على يدي حفيد رسول الله المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

ولعلّ هذا هو السبب الذي جعل الأنبياء عليهم السلام يرتبطون بمحمد وآله عليهم السلام كل هذا الارتباط، فآل البيت عليهم السلام يشكلون تتويج المشروع الإلهي الذي عمل له جميع الأنبياء وضحّوا لأجله، وكذلك تتويج المشروع الإلهي الذي استخلف الإنسان في الأرض لأجله.

---

(1) سورة التوبة، الآية 33.

(2) الصدوق، محمد، **كمال الدين وتمام النعمة**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1405هـ، ص280.

لذا نجد العديد من الروايات التي تتحدّث عن انجذاب الأنبياء عليهم السلام إلى الرسول الأكرم وآل بيته عليهم السلام وتوسلهم بهم، ومخاطبة الله بحقهم، والروايات في هذا المجال كثيرة جدًا، نكتفي بذكر واحدة منها.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «...وأخذ الميثاق على أولي العزم، ألا إني ربّكم، ومحمّد رسولي، وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري، وخزّان علمي، وأنّ المهدي أنتصر به لديني، وأُظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأُعبد به طوعًا وكرهًا، قالوا: أقررنا وشهدنا...»[1].

ثالثًا: الانحرافات في مسيرة البشريّة

من يتأمّل في أهداف الأنبياء العظام عليهم السلام وما تحقق منها، يُلاحظ وجود فارق بين المُخطط والمنفّذ. ومعلوم أن هذا الفارق ليس بسبب تقصير الأنبياء عليهم السلام، لأنهم معصومون عن التقصير، فالسبب حتمًا ليس تقصيرهم بل خذلان الناس وعدم تجاوبهم مع المخطط الإلهي. فالإنسان خُلق مختارًا، قادرًا على الفعل والترك، قادرًا على نصرة الحق والأنبياء عليهم السلام، وقادرًا على خذلان الحق ونصرة الباطل. وهذه القدرة على الاختيار هي التي ولّدت الصراع المستمر بين الحق والباطل، الذي يمكن اعتباره السبب الرئيس في انحراف مسيرة البشريّة، وخروجها عن المخطط المرسوم، ولكن في ظلّ السنن الإلهية الحكيمة التي قيّدت كمال الإنسان بالاختيار.

وهذا الصراع بين الحق والباطل له ميزات لا بدّ من معرفتها وفهمها بشكل جيّد، من أجل معرفة مستقبل البشريّة، وهذه الميزات هي:

1. الصراع بين الحق والباطل هو صراع ذاتي، إذ لا يمكن للحق والباطل أن يجتمعا معًا، فكلّ منهما يطرد الآخر ويزيله.
2. الحق أصيل لأنه متعلق الإرادة الإلهية، أما الباطل فمفهوم إضافي لأن الله لا يخلق باطلًا. أي أن انزواء الحق وغيابه هو الباطل، مثل النور والظلمة، فغياب النور هو

(1) الصفار، محمد بن الحسن، **بصائر الدرجات**، تحقيق حسن كوجا باغي، الأعلمي، طهران، 1404، ص90.

الظلمة، إذ لا وجود واقعيًا مستقلًا للظلمة. فالنور له تعريف ذاتي هو: «**الظاهر بنفسه المُظهر لغيره**»، أمّا الظلمة فتعريفها إضافي وهو: «**انعدام النور**».

3. أتباع الحق هم من يُؤَمّنون المؤثرية الحقيقية للحق، وتخاذل الناس عن الحق هو الذي يصنع الباطل.
4. الغيب قوة حاسمة لصالح الحق، ولكن بشروط محددة.
5. تنازع أهل الباطل فرصة دائمة لأهل الحق، لأن هؤلاء ينافسون على دائرة محددة، وبالتالي فالصراعات بينهم دائمة، وهذا يشكل فرصة دائمة لأتباع الحق.

المبحث الثالث

الصراع بين الحق والباطل في زمن الإسلام

تحدثنا في المبحث السابق عن أن الصراع بين الحق والباطل هو صراع ذاتي، كان منذ بداية استخلاف الإنسان وسيبقى إلى أن يظهر الحق ويزهق الباطل.

ولكي نوضح صورة هذا الصراع، سندرس حقبة مهمة من حقبات الصراع بين الحق والباطل، وهي فترة الرسالة الإسلامية. على أن تكون هذه الفترة مصداقًا معبرًا عن الصراع المستمر بين الحق والباطل.

أولًا: خريطة الصراع

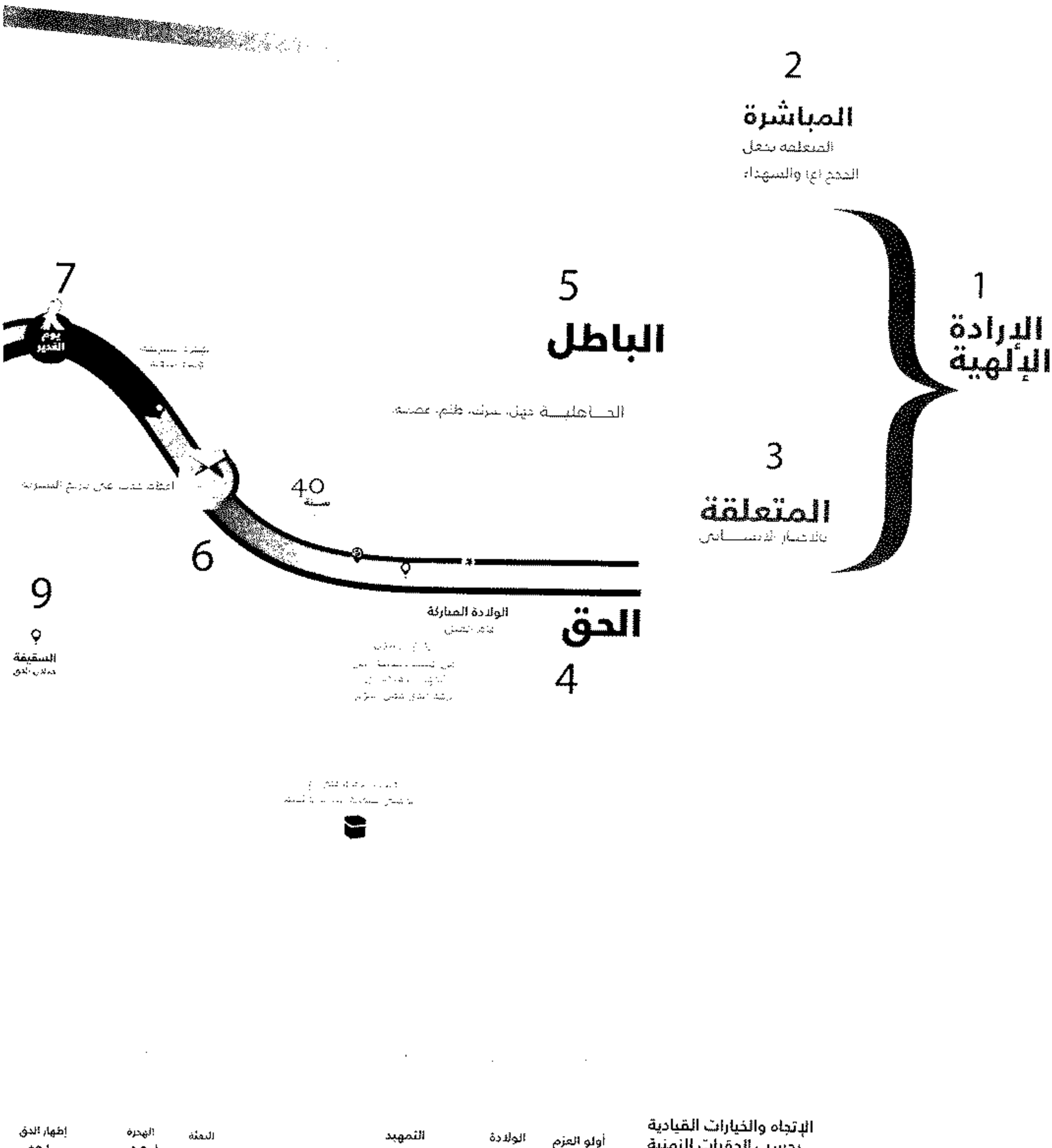

الإتجاه والخيارات القيادية بحسب الحقبات الزمنية

	أولو العزم	الولادة	التمهيد	البعثة	الهجرة	إظهار الحق
		عام الفيل +	بالنموذج الأخلاقي ٤٠ عاماً		١٣ + الدولة النموذج	١٠ + السكوت صمناً للرد

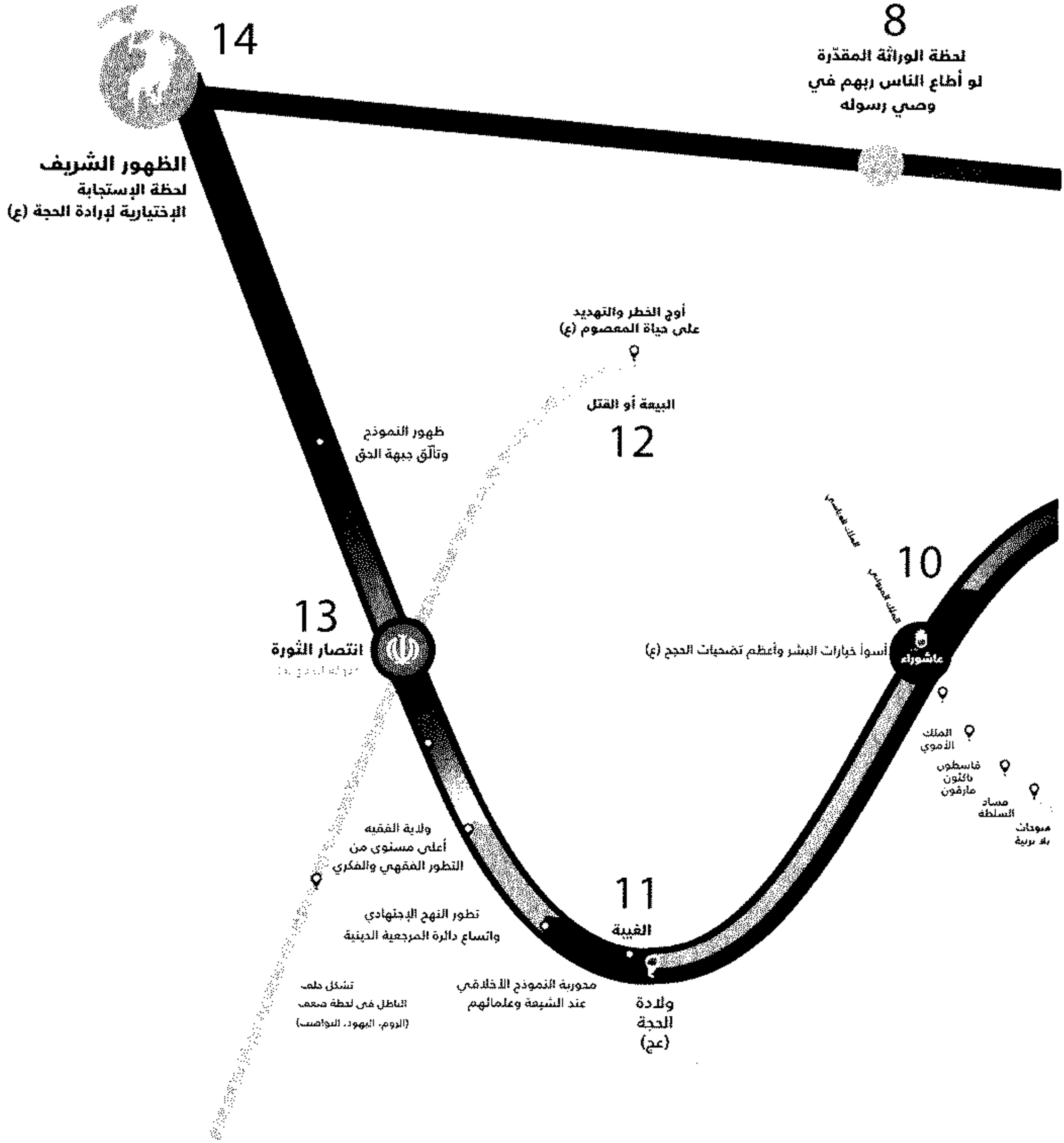
14
الظهور الشريف
لحظة الإستجابة
الإختيارية لإرادة الحجة (ع)
8
لحظة الوراثة المقدّرة
لو أطاع الناس ربهم في
وصي رسوله
أوج الخطر والتهديد
على حياة المعصوم (ع)
البيعة أو القتل
12
ظهور النموذج
وتألق جبهة الحق
13
انتصار الثورة
10
أسوأ خيارات البشر وأعظم تضحيات الحجج (ع)
عاشوراء
الملك الأموي
فاسطون
مساد السلطة
11
الغيبة
ولاية الفقيه
أعلى مستوى من
التطور الفقهي والفكري
تطور النهج الإجتهادي
واتساع دائرة المرجعية الدينية
محورية النموذج الأخلاقي
عند الشيعة وعلمائهم
ولادة
الحجة
(عج)
الغيبة
٢٦٠ هـ +
خفاء التوصيف
وظهور الشخص
الحجج النائبة
٣٢٣ هـ +
والرفع التدريجي
للحصار
ولاية الفقيه
١٩٧٩م +
نضج النموذج
القيادي
عاشوراء
٦٠ هـ+
المعصوم (ع)
في الحكومة
٤٥ هـ +

ثانيًا: شرح خريطة الصراع

1. الخط المستقيم في الأعلى هو خط الحجج الإلهيين الذين جعلهم الله تعالى معيارًا لتوجيه الإرادة الإنسانية، وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والعلماء. وتقاس حركة التطور البشري نحو تحقيق الغاية الإلهية من استخلاف الإنسانية بدرجة قرب أو بُعد الإرادة الاجتماعية من إرادتهم.
2. الخطّان المتعرّجان في الأسفل هما:
   - خط الباطل: وهو وهمي، لأن الباطل مفهوم إضافي يُعرف بضعف الحق. ولذا رُسم بطريقة النقاط المتقطعة. وهو يشير إلى مراحل سيطرة أعداء المشروع الإلهي على السلطة السياسية ومقدرات الأمّة المادية والمعنوية.
   - خط الحقّ: رُسم بشكل بارز إشارةً إلى أصالته وواقعيته، لأنّه متعلّق الإرادة الإلهية. ويُحدد صعوده وهبوطه بحسب الواقع الاجتماعي والسياسي الذي فرضته استجابة الأمّة لإرادة وليّها أو إعراضها عنه. والمحرّك للاتجاه التاريخي هو الاختيار الإنساني الذي تعلّقت بإيجاده الحكمة الإلهية لضمان التكامل اللائق بالخلافة على الأرض.
3. نقاط التقاء الخطين إشارة إلى التقاطعات التاريخية المفصلية المعبّرة عن أحداث كبرى كان لها أثر خطير في تحديد اتجاه البشرية نحو تحقيق الإرادة الإلهية أو مخالفتها.
4. نقطة الالتقاء بين خط الحجج الإلهيين المستقيم وخط الحق التصاعدي إشارة إلى اللحظة المناسبة للظهور المبارك للمولى بقية الله الأعظم عليه السلام.
5. المسافة الفاصلة المتسعة تدريجيًا بين خطّي الحق والباطل إشارة إلى مقدار الحجيّة ومستوى جلاء الحق، وإظهارٌ لمستوى فعالية وأثر جهود الحجج عليهم السلام، رغم تخلّف المجتمع الإسلامي عن نصرتهم في كثير من المراحل الزمنية.

ثالثًا: قراءة في محطات خارطة الصراع

أ. البعثة النبوية

شكّلت البعثة النبوية المباركة المنعطف التاريخي الأهم في صراع الحق والباطل، فبعدما وصل الباطل إلى ذروته في زمن الجاهلية، كان ظهور الرحمة الإلهية الكبرى المتمثلة بولادة خاتم الأنبياء الرسول الأعظم ﷺ بداية الانعطاف في مسيرة التاريخ لصالح المشروع الإلهي، وشكلت البعثة النبوية أعظم تقاطع في هذا المسار، وتتوجت بالضمانة الإلهية في يوم الولاية في غدير خم. ويمكن بيان ذلك كما يلي:

1. **ولادة الرسول الأكرم ﷺ**: ليس من الصدفة أن تتزامن الولادة العطرة لسيد الرسل محمد بن عبد الله ﷺ مع التدخل الإلهي الغيبي لهزيمة أبرهة بعد محاولته هدم الكعبة. إذ شكّل هذا التدخل الغيبي فتحًا لنافذةٍ مُوقظة من بعض غفلات الجاهلية وإشارة إلى بدء ضمور الباطل بعدما وصل إلى ذروته، ورسّخ في ثقافة المكّيين قداسة الكعبة الشريفة وارتباطها بعالم أرقى من ظلمات الناس. وفي هذا العام سطع نجم الحقّ بولادة سيد الرسل محمد بن عبد الله ﷺ، بما يحمله من دلالة رمزية على الرحمة الإلهية التي اشتمل عليها المخطط الحكيم. وقد تحدثنا سابقًا عن العلاقة الجدلية بين الحق والباطل. يقول الإمام الخميني: «**ولادة الرسول الأكرم ﷺ كانت مبدأ انهيار أسس الظلم وخمود نيران الوثنية وعبادة النار**»[1]. وهذه إشارة إلى الأحداث التي رافقت الولادة المباركة في إيوان كسرى وعرش قيصر.
2. **ولادة الأمير عليه السلام**: الحدث الآخر الذي بشّر بفجر الحق هو الولادة الميمونة لأمير المؤمنين ووزير الرسول الأعظم علي بن أبي طالب عليه السلام. ففضلًا عن بركة ولادة هذا الإنسان العظيم، كانت الولادة إيذانًا للرسول الأكرم ﷺ ببدء استدعاء الوحي للقيام بالمهمة العظيمة المتمثلة ببناء دولة الحق والعدالة، فولادة ضامن بقاء الرسالة تُشكّل

(1) الإمام الخميني. **صحيفة الإمام**. مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني. طهران. 2009. ج4. ص110.

شرطًا لظهورها وإعلانها كما كانت ولايته شرطًا ضروريًا لحكمة ختمها. فعن رسول الله ﷺ قال في حديث طويل: «... ولقد هبط حبيبي جبرائيل في وقت ولادة علي فقال: يا حبيب الله، العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويهنئك بولادة أخيك علي ويقول: هذا أوان ظهور نبوتك، وإعلان وحيك وكشف رسالتك، إذ أيدتك بأخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك، ومن شددت به أزرك، وأعليت به ذكرك، فقم إليه واستقبله بيدك اليمنى فإنه من أصحاب اليمين، وشيعته الغر المحجّلون...»[1].

3. **زواج الرسول الأعظم ﷺ**: بالإضافة إلى ولادة الوزير والخليفة، شكّل زواج الرسول الأكرم ﷺ بالسيدة خديجة عليها السلام بشارة جديدة على اقتراب البعثة. فقد وفّر هذا الزواج المبارك حاضنة ماليّة للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «**ما استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**»[2]. كذلك أسهم هذا الزواج المبارك في تقديم النموذج الكامل للأُسرة التي تُمثّل الخليّة الاجتماعية الأولى، ومنطلقًا للتحولات الاجتماعية الكبرى. فاقترن الرجل القدوة بالزوجة القدوة لتتكوّن الأسرة القدوة في العلاقة والدور النموذجي. ولا بدّ أن يكون لاختيار سيدة نساء عالمها خديجة الكبرى خصوصية ذاتيّة من حيث الكمال المعنوي أيضًا، فهي المؤهلة لحمل الكوثر الفاطمي في رحمها الطاهر، وبالتالي فامتداد الرسالة الخاتمة عبر الأسباط الطاهرين متوقفٌ على ثمرة هذا الزواج المُخطط إلهيًا بحكمة ولطفٍ خاصّين.
4. **يوم الغدير**: عرفنا أن البعثة النبوية الشريفة بما أنها إشراقة الرحمة الإلهية على البشرية مقابل الارتكاس لمعسكر الجاهلية النزولي وإسقاط هيبته وطغيانه، شكلت التقاطع التاريخي(*) الأهم بين الحق والباطل، وأنها أسست لمرحلة انتصار الحق وصعوده، وهزيمة الباطل وتقهقره. واستمرّ الحق بالظهور والسطوع إلى أن وصل إلى أوجه مع الإعلان النبوي الرسمي عن خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير، لتتمّ النعمة

---

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج35، ص21.

(2) الحائري، محمد مهدي، **شجرة طوبى**، النجف، المكتبة الحيدرية، ط5، ج2، ص233.

(*) لا يقصد بالتقاطع التاريخي هنا ان الحق والباطل التقيا واشتركا في شيء، إنما المراد هو اللحظة التاريخية التي بدأ فيها تفوّق مسار الحق صعودًا وانهيار مسار الباطل من حيث السطوة والحضور الاجتماعي والثقافي والسياسي

ويكمل الدين ويييأس الكافرون من القضاء على الإسلام. فيوم الغدير إعلان صريح عن تجذّر الحق واستحالة زواله بعد الآن. وفي اليوم نفسه كان يأس الكفّار صريحًا على لسان الوحي في الآية الشريفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1].

ب. التحديات التي فرضتها اختيارات الناس

كان من المفترض أن يُكمل الحق صعوده، لتتشكل دولة الإسلام العالمية، ولكنّ اختيار الناس عدم الاستجابة لإرادة الله سبحانه في طاعة وليّه أمير المؤمنين عليه السلام حرف مسيرة التاريخ، وأفقد الحق فرصته، بل بدأت المسيرة التقهقريّة للحق. وفي الحقيقة يُمكن القول إن هذا التحدّي شكّل أولى مراحل الغيبة، والمقصود هنا الغيبة النسبية لما كانت ستوفره السلطة السياسية والخلافة المباشرة لرسول الله صلى الله عليه وآله من قدرةٍ على استكمال المشروع النهضوي لرسول الله صلى الله عليه وآله. ويمكن أن نستعرض السير التدريجي لهذا النوع من غيبة الأئمة عليهم السلام عبر التاريخ والتحديات التي فرضها على أدائهم واستراتيجياتهم في إدارة المشروع الإلهي كالتالي:

1. **تحدي فقدان السلطة السياسية الرسمية:** أول تحديات محاصرة الدور القيادي للأئمة عليهم السلام كان فقدان السلطة السياسية فهو أوّل مراحل غصب حقوق الأئمة وشؤونهم. وقد أفضى هذا الأمر إلى الحد من بعض فعالية الإمام، إذ أُبعِد عن مركز اتخاذ القرار السياسي والإدارة الاجتماعية. غير أن المنزلة المعنوية، والمقام العلمي والجهادي والتاريخي والنَسبي والسببي، والكمالات الكبرى في شخصية ولي الله عليه السلام، وحاجة الخلفاء إليه في بيان الإسلام وحماية خلافتهم وتعويض نقصهم مع تزايد الوافدين الجدد إلى الإسلام مع ما يحملونه من تصوّرات وأسئلة، وجاذبية المرجعية العلمية المعصومة المتمثلة في أمير المؤمنين عليه السلام، كل ذلك أدّى إلى تخوّف السلطة من

(1) سورة المائدة، الآية 3.

جاذبية الأمير عليه السلام وتكوين جماعة سياسية تؤثّر على نفوذهم في السلطة، فكان لا بد من محاصرة الحضور العلمي والجاذبية الخاصة بالتفوق في تمثيل المرجعية الدينية الوارثة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. وذلك من خلال خطوة حصار أخرى تمثّلت بمحاصرة المرجعية العلمية والدينية له ولأبنائه المعصومين عليهم السلام على عدّة مراحل.

2. تحدي محاصرة المرجعية العلمية والدينية: بعد إبعاد الأئمة عليهم السلام عن المنصب السياسي، بدأ العمل على محاصرة المنصب العلمي والديني للأئمة عليهم السلام وذلك للتقليل من السطوة المعنوية للمعصوم عليه السلام التي يفرضها علمه واختزانه لعلوم الوحي كمرجعية إلهية فريدة للإسلام. فبدأ الترويج للصحابة كعنوان وعلّة تامة للفضل والتعظيم من شأنهم بمعزل عن لياقتهم ومواهبهم الشخصية، لاستبدال المرجعية العلمية والدينية للأئمة عليهم السلام بمرجعية الصحابة. فوُضعت لأجل ذلك أحاديث مختلفة كـ «أصحابي كالنجوم»، بغية تحقيق هدفين:
   - مساواة أمير المؤمنين عليه السلام بغيره من الصحابة.
   - إبعاد الناس عن مرجعية أهل البيت عليهم السلام.

   وبعد فترة طويلة من التضييق، ورغم توهّج الحضور العلمي للصادقين عليهما السلام أُقرّت المذاهب الأربعة في عهد المأمون العباسي، وألغيت المذاهب الأخرى ومن بينها المذهب الأصيل مذهب أهل البيت عليهم السلام. وهذا التضييق أسهم في الحد من فعالية الأئمة عليهم السلام، إلّا أنه لم يحقق أهدافه، حيث سجّل الأئمة عليهم السلام حضورًا باهرًا في وجدان وثقافة الأمّة الإسلامية نتيجةً لتميّز ذواتهم المقدسة وحكمتهم في سياسة أمر الدين والدنيا وجهادهم المتواصل تحت أقسى الظروف.

3. محاولة حصار المرجعية التربوية والأخلاقية: المرحلة الأخيرة من مراحل حجب حضور الأئمة عليهم السلام، هي استبدال مرجعيتهم الأخلاقية بمرجعيات مختلقة، وذلك لحرف التوجّه عن مركز الطبابة الروحية الأصيل، وحجب كمالاتهم الحقيقية الجاذبة إلى الولاية الإلهية الحقّة. إذ بدأ الترويج لمرجعيات أخلاقية منحرفة من قبيل الصوفية في

ذلك الزمن، وقُدّمت للأمّة على أنها القدوة والمثال، وجرى ترميز بعض الشخصيات على أنها النموذج الأرقى للسير والسلوك وتزكية النفس(*). وبالتالي يكونون قد ضغطوا أكثر وأكثر على فعالية الأئمة عليهم السلام، وسعوا إلى إقصائهم عن مركز صناعة القرار السياسي، والقرار الديني، والسلوك الأخلاقي والعبادي، إلّا أن نجاحهم في ذلك كان متفاوتًا بين أنواع الغصب والمراحل الزمنية، تبعًا للعوامل المؤثرة في كل مرحلة وسيأتي توضيحها.

والقاعدة السننيّة التي نستفيدها من السياق المنطقي والتحليل التاريخي معًا تفيد بأنّ الترتيب بين مراحل التحدي من حيث التأثير يوجب أن تكون رحلة استعادة ما غُصِب عكسيّة، فما غُصب أخيرًا يجب أن يعود أولًا وهو المرجعية التربوية، وما غُصب أولًا يعود أخيرًا بشكل تكاملي مرحلي وهو القيادة السياسية والاجتماعية، وبيان ذلك هو: أن عوامل حصار الفعالية تختلف بين مراحل التحدّي المذكورة سابقًا. فالغياب عن مركز السلطة السياسية يلعب فيه عامل استجابة الناس وجهوزيتهم للمواجهة دورًا مفصليًا، وهذا العامل خارج عن اللياقات والكمالات الذاتية عند المعصوم عليه السلام وخارجٌ أيضًا عن تأثير المعصوم عليه السلام به منفردًا، فإذا لم يقرر الناس الاستجابة لإرادته لا يستطيع إجبارهم على ذلك.

أمّا محاصرة المرجعية العلمية والدينية فهي من النتائج المترتبة على العامل الأول وتمكين السلطة السياسية من استخدام نفوذها في الترغيب والترهيب والترويج للشخصيات البديلة التي تناسب السلطان أو ما يُعرف بعلماء البلاط. ولكن اللياقات العلمية للمعصومين عليهم السلام لها تأثير حتمي في هذا النوع من ميادين المنافسة ولا يستطيع القرار السياسي أو الترويج للبديل أن يفقدهم بريقهم نهائيًا، نعم قد يستطيع حجبه ومحاصرته نسبيًا.

أمّا محاصرة المرجعية الأخلاقية والمعنوية والتربوية فإن حظوظها ستكون ضعيفة لأن

(*) لسنا هنا بصدد تقييم الاتجاه الصوفي وسلامته، بقدر اهتمامنا بالتنبيه إلى دور كتبة التاريخ والسلطات السياسية في تبنّي الاتجاهات الفكرية والسلوكية المنافسة لمرجعية أهل بيت العصمة عليهم السلام.

اللياقات الشخصية للمعصومين عليهم السلام وأتباعهم على المستوى المعنوي تمثّل عاملًا حاسمًا في مواجهة التضييق والحصار حيث لا تستطيع السلطة أو رموزها العلمية أن يحجبوا زهد أهل البيت عليهم السلام وعبادتهم وكرم أخلاقهم وحلمهم وحرصهم على الناس وصدق حديثهم وتأديتهم للأمانة وحسن عشرتهم وقضاءهم للحوائج. وقد مارس أهل البيت عليهم السلام هذه الأخلاق في كل الظروف حتى في السجن كما حصل مع مولانا الإمام الكاظم عليه السلام. نعم يمكن للسلطة الترويج لغيرهم ولكن لا يمكنها إسقاط هذه الميزة عنهم. ولعلّ هذا ما دعا الأئمة عليهم السلام إلى تكثيف وصاياهم الأخلاقية لشيعتهم ومواليهم حتى جعلت بعض الروايات هذا السلوك معيارًا للتشيّع لهم عليهم السلام. فهذا يُشكّل خط الدفاع الأخير والمُحكم الذي يصلح منطلقًا للدعوة إليهم وهداية الناس إلى حقهم بالمرجعية العلمية والقيادة السياسية إضافةً إلى جاذبيته الذاتيّة نحو التديّن والهداية.

وعليه فاسترجاع المراحل السابقة يرتبط تدرّجه بقرب أو بُعد العوامل المؤثرة في الحصار من اللياقات الشخصية، فما كان أكثر قربًا كان أكثر يسرًا وأسرع في الحصول عليه، وما كان أكثر بُعدًا عن دائرة السيطرة الفردية كان مؤجلًا إلى تحقيق شروطه الخارجية.

ج. الأئمة في مواجهة أنواع التحدي

لقد شكّل تنوّع التحديات التي واجهت المشروع الإلهي فرصة لتزوّد المؤمنين من تنوّع الاستراتيجيات في المواجهة على يدي أئمة الهدى عليهم السلام، حيث كان هذا التنوّع مدرسة معصومة وفّرت ثراءً في التجربة والسير على طريق المواجهة.

من المعلوم أن إقامة الحكومة الإلهية تُشكّل هدفًا مشتركًا لجميع أولياء الله سبحانه، غير أن الوصول إليه كان يواجَه بعقبات مختلفة، فتارة تكون الظروف ملائمة للعمل باستراتيجية التحضير لتحقيقه في زمن قريب، وتارة أخرى تبلغ العوائق حدًا يفرض العمل باستراتيجية المدى البعيد مع الحفاظ على نفس الاتجاه ونفس الهدف. ويقسّم الإمام الخامنئي قدس سره مراحل المواجهة إلى أربع مراحل، هي[1]:

(1) انظر: الإمام الخامنئي. **إنسان بعمر 250 سنة**، مركز نون للتأليف والنشر، بيروت،2013، ص.ص68-72.

1. مرحلة السكوت، أو مرحلة التعاون مع الحكّام والسلطات: امتدت هذه المرحلة منذ وفاة الرسول الأكرم ﷺ عام 11 للهجرة حتّى تولّي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة سنة 35 للهجرة. وتميّزت هذه المرحلة بأنّ المجتمع الإسلاميّ الحديث الولادة والفتيّ كان محفوفًا بأعداء مقتدرين تربّصوا بالإسلام من الخارج، وبوجود عناصر من جماعات حديثة العهد بالإسلام، لا تتحمّل أن ترى تشتّتًا في المجتمع الإسلاميّ، وكلّ ثغرة في جسد الأمّة كانت تشكّل تهديدًا لأساس المجتمع الإسلاميّ ووجوده. ومن جانب آخر، لم يكن منحنى انحراف الواقع عن الحقيقة كبيرًا بحيث لم يعد قابلًا للتحمّل بالنسبة لشخص مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد شرح الإمام موقفه في هذه المرحلة قائلًا: «**فأمسكت يدي، حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم فنهضت في تلك الأحداث**»[1].

2. مرحلة تسلّم الحكم ووصول الإمام إلى السلطة: استغرقت هذه المرحلة أربعة أعوام وتسعة أشهر من خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وبضعة أشهر من خلافة ولده الإمام الحسن عليه السلام. وبالرغم من قصر هذه المرحلة، وما اكتنفته من آلام وهموم ومشاكل ومصاعب لا تُحصى، إلا أنّها سجّلت أنصع الصفحات وأروعها في تاريخ الحكومة الإسلامية، بما قدّمته من طريقة إنسانية في التعامل، ومن عدل مطلق والتزام دقيق بأحكام الإسلام بأبعاده المختلفة في إدارة المجتمع الإسلاميّ. هذا إلى جانب الحزم والصراحة والجرأة في التطبيق واتّخاذ المواقف.

هذه المرحلة من تاريخ الإمامة كانت النموذج الّذي دعا أئمّة أهل البيت عليهم السلام، خلال القرنين التاليين، إلى تطبيقه في الحياة السياسية والاجتماعية. في نفس الوقت كانت درسًا وتجربةً ملهمة يمكن أن تدلّ على وضع وأحوال أيّة حكومة ثوريّة وإسلاميّة صرفة داخل مجتمعٍ وجماعةٍ لم تتربَّ أو انجرّت نحو الانحراف.

---

(1) نهج البلاغة، الكتاب 62.

3. مرحلة السعي البنّاء القصير المدى لإيجاد الحكومة والنظام الإسلاميّ: استوعبت هذه المرحلة السنوات العشرين بين صلح الإمام الحسن عليه السلام سنة41 هـ، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة 61 هـ. فبعد صلح الإمام الحسن عليه السلام بدأ نوع من العمل شبه السرّيّ للشيعة، كان هدفه إعادة القيادة الإسلامية إلى عترة النبيّ صلى الله عليه وآله في الفرصة المناسبة. وهذه الفرصة، ووفق الاستنتاج الطبيعيّ، لم تكن بعيدة المنال، وكان تحقّقها مأمولًا بعد انتهاء حياة معاوية الشرّيرة، لهذا، يمكن تسمية المرحلة الثالثة «مرحلة السعي البنّاء القصير المدى لإيجاد الحكومة والنظام الإسلاميّ».
4. مرحلة السعي بعيد المدى لإيجاد النظام الإسلامي: في هذه المرحلة التي استمرت قرابة القرنين، تواصلت مسيرة الإمامة ضمن خطة بعيدة المدى لتغيير المجتمع -وفق نظرة الإسلام - في جميع المجالات، بما في ذلك القيادة السياسية. وشهدت هذه المرحلة انتصاراتٍ وهزائم، لكنها سجّلت انتصارًا قاطعًا في مجال العمل الأيديولوجيّ، حيث نشط الأئمة عليهم السلام في مكافحة الانحرافات والتحريفات التي خلّفتها مراكز القدرة والأذهان الجاهلة، إلى جانب العمل على المدى البعيد لإقامة حكم إسلامي ينتهج القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله ويتمثّل نموذج حكومة الإمام علي عليه السلام.

د. غيبة الشخص

استمرّ المنحنى السلبي للخط البياني لمعسكر أهل الحق بالتنازل بسبب ضعف الاستجابة المطلوبة للقيادة الإلهية، مع ارتفاع حدّة التباين والتباعد بين خطّي الحق والباطل بفضل طبيعة الصراع الذي فرضه الإمام المعصوم عليه السلام، والذي كان يُشكّل ضمانة بقاء الصراع وعامل القلق الرئيس للأنظمة الحاكمة، لذا كان التخلّص منه عليه السلام ضرورة فرضتها المخاوف من تأثيره وفعاليته التي حاول الحاكم تقييدها بالتهديد والاعتقال والسجن تارة، ومحاولة الاستيعاب تارة أخرى. وكانت كل هذه المحاولات تنتهي إلى الفشل، وبالتالي كان الخيار الأخير القتل السرّي بالسمّ، حيث لم يجرؤ الحكّام على إعمال السيف بعدما شاهدوا أثر ملحمة كربلاء في النظام الأموي، فهذا عبد الملك بن مروان يكتب إلى الحجاج الثقفي: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله

عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف، أمّا بعد، فجنبني دماء بني عبد المطلب، فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا بعدها إلا قليلًا والسلام»[1](*).

فتحوّلت الغيبة التدريجية للفعالية إلى غيبة تدريجية لشخص المعصوم عليه السلام ابتداءً من عهد الإمام الكاظم عليه السلام، إذ سُجن ثلاثة عشر عامًا في سجون هارون، فاستحكم احتجابه عن شيعته ومواليه.

كذلك نُفي ابنه الإمام الرضا عليه السلام إلى أقصى حدود الدولة الإسلامية، فكان غريب الغرباء لا يرى شيعته ولا يرونه.

ولم يختلف الحال مع الإمام الجواد عليه السلام الذي كان له غيبتان بدل الغيبة الواحدة، صغر سنّه الذي شكّل ابتلاءً عظيمًا وجديدًا للشيعة، والشك في نسبه إذ كان في وجهه شربة من السمرة(*). مع التأكيد أن وضوح الحجيّة لطالب الحق لا يترك عذرًا لهذه التشكيكات، ولكن الكلام هنا عن الظروف التي أحاطت بالحجة الظاهرة تاريخيًا.

---

(1) الصفار، محمد بن الحسن، **بصائر الدرجات**، م.س، ص417.

(*) ووردت الرسالة بصيغة أخرى وهي أن عبد الملك أرسل للحجاج: إياك وبني هاشم أن تتعرض لهم، فقد رأيت بني حرب لمّا تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم.

(*) ورد في الجزء الأول من **الكافي** عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني جميعا، عن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال: والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام، فقال له الحسن: إي والله جعلت فداك لقد بغى عليه إخوته، فقال علي بن جعفر: إي والله ونحن عمومته بغينا عليه، فقال له الحسن: جعلت فداك كيف صنعتم فإني لم أحضركم؟

قال: قال له إخوته ونحن أيضا: ما كان فينا إمام قط حائل اللون (حال لونه أي تغير واسود) فقال لهم الرضا عليه السلام هو ابني، قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة (الذي يعرف الآثار والأشياء ويحكم بالنسب) فبيننا وبينك القافة، قال:ابعثوا أنتم إليهم فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم.

فلما جاؤوا أقعدونا في البستان واصطف عمومته وإخوته وأخواته وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له:ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاؤوا بأبي جعفر عليه السلام فقالوا: ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا: ليس له ههنا أب ولكن هذا عم أبيه، وهذا عم أبيه، وهذا عمه، وهذه عمته، وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة فلما رجع أبو الحسن عليه السلام قالوا: هذا أبوه.

قال علي بن جعفر: فقمت فقبلت أبا جعفر عليه السلام ثم قلت له: أشهد أنك إمامي عند الله، فبكى الرضا عليه السلام، ثم قال: يا عم! ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطيبة الفم، المنتجبة الرحم، ويلهم لعن الله الأعيبس وذريته، صاحب الفتنة، ويقتلهم سنين وشهورا وأياما يسومهم خسفا ويسقيهم كأسا مصبرة، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة، يقال: مات أو هلك، أي واد سلك؟! أفيكون هذا يا عم إلا مني، فقلت: صدقت جعلت فداك.

أما ابنه الإمام الهادي عليه السلام فقد أُشخص مخفورًا من المدينة إلى سامراء، ولم يخرج منها. وفي عهده هدم المتوكل مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وحظر على الشيعة الاتصال به، فكان من يسأل عن الإمام عليه السلام يُعتقل.

واستمر الحال كما هو عليه مع الإمام العسكري عليه السلام - الذي أشخص مع أبيه المعظّم وهو بعمر 4 سنوات وبقي في إقامة جبرية في سامراء - بل تضاعفت الرقابة والتضييق عليه، وكان منزل الإمام عليه السلام تحت المراقبة المستمرة للسلطة، كما سُجن الإمام عليه السلام، ودُهم منزله أكثر من مرّة، ولم يستطع أن يتواصل مع شيعته إلا سرًا. وفي عهده وصل الحصار على الأئمة عليهم السلام إلى أوجه، وأصبح وجود شخص الإمام مهددًا. ولعل من أسباب بلوغ التهديد هذه الدرجة ما يتوقعه بنو العباس من الإمام الثاني عشر الموعود بإزالة الظلم والطغيان، فكان التضييق على أبيه عليه السلام مضاعفًا خوفًا من تحقق ما ورد في النصوص المشهورة عن عدد الأئمة الأوصياء وعن خصوص الثاني عشر منهم. فكان اتجاه المسار التاريخي منسجمًا مع هذه النصوص، وكان خيار الغيبة هو البديل الوحيد المتيسّر بمقتضى الحكمة الإلهية، والجامع بين بقاء الحجّة عجل الله فرجه وحمايته من القتل. ولذا اضطر الإمام المهدي عجل الله فرجه إلى الغيبة الكليّة بعد شهادة أبيه العسكري عليه السلام لتبدأ الغيبة الصغرى، وتتلوها الكبرى.

هـ . شدّة الحصار والكرامات التعويضية

لا شكّ في أنّ الحصار الذي كانت تضربه السلطات الجائرة على حركة الأئمة عليهم السلام أثّر في مستوى تنعّم الناس ببركات وجودهم المقدّس، وبالتالي قلّل من مقدار ظهور حجيّتهم وانتشار جاذبيتهم. وقد استحكم ذلك مع الأئمة المتأخرين عن الإمام الرضا عليه السلام. لذا، وبمقتضى اللطف الإلهي، نجد ظهورًا مكثّفًا للكرامات الغيبيّة في حياتهم المباركة وفي مواقف مفصليّة، كانت تأتي لتثبيت أركان الهداية وتُشكّل تعويضًا عن الفعالية الأصلية التي تمتلكها كمالات المعصومين عليهم السلام العلمية والتربوية الخاصّة بهم.

و. الغيبة الكبرى وعودة الفعالية

اتضح مما سبق أن عهد الإمام العسكري عليه السلام كان من أصعب العهود، إذ وصل الباطل فيه إلى أوجه حيث بلغ التهديد حدّ قتل الإمام المهدي عجل الله فرجه حتى لو كان في بطن أمّه، ما استلزم غيبته الصغرى، ومن بعدها الكبرى. ولكن يجب الالتفات إلى أن الغيبة ليست خيارًا تراجعيًا، بل هي خيار استراتيجي لاسترجاع الحق والقضاء على الباطل، فقد وفّرت الغيبة الكبرى استعادةً لجزءٍ من فعالية الإمام عجل الله فرجه، فبعدما كان معروفًا بشخصه لا يستطيع الحركة، أصبح مع بدء الغيبة الكبرى طليق اليدين إذ ليس هناك من يعرف شكله أو يراقب حركته. لذا يمكن أن نقول إن الغيبة الكبرى هي بداية ظهور الشخص في ظل غيبة العنوان والهوية (كإمام)، أي كان الإمام عجل الله فرجه يستطيع أن يرى الناس ويكلمهم، ولكنّهم لا يعرفون أنه إمامهم، لذا فإن الإمام عجل الله فرجه كشخص زادت فعاليته وظهوره عبر وسائط مُحددة يختارها هو ويختار زمانها ومكانها وكيفيتها، ولكن كعنوان أنه الإمام ازدادت غيبته.

والغيبة الكبرى يمكن اعتبارها أيضًا بداية للصعود التدريجي واسترجاع ما غُصب تحت قيادة ورعاية الإمام الغائب عجل الله فرجه على يدي حجته من العلماء الكبار الذين شكلوا بداية النموذج التربوي الحافظ للمنهج الأخلاقي للمعصومين عليهم السلام المرتكز على الزهد والعبادة والورع، فكانوا بذلك رموزًا للمرجعية التربوية التي استطاعوا استرجاعها مبكرًا في بدايات الغيبة الكبرى، إلى أن برز في القرن الرابع الهجري علماء أعلام أمثال: الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشريف الرضي، حيث أثبت هؤلاء أنهم الأكثر جدارة بقيادة الأمّة أخلاقيًا وتربويًا، إذ لم يوجد لهم منازع أو شبيه في شدّة التقوى والزهد والتحلّي بالفضائل الأخلاقية. وقد رُوي عن فضائلهم وكراماتهم الكثير الكثير بفضل رعاية الإمام عجل الله فرجه المباشرة لهم.

فقد خصّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشيخ المفيد بأكثر من توقيع. ورُوي أن الشيخ المفيد رأى في منامه الصديقة الزهراء عليها السلام تمسك ولديها الحسنين عليهما السلام وتقول له:

«علمهما الفقه»، فلمّا استيقظ جاءته سيدة فاضلة تصطحب ولديها السيد المرتضى والشريف الرضي، وقالت له: «علمهما الفقه»، فعلم أنه تفسير منامه[1].

كذلك فإنهم لم يتأخروا كثيرًا في استرداد المرجعيّة العلمية، ففي القرن الخامس الهجري استطاع الشيخ الطوسي أن يؤسس كيانًا علميًا للطائفة الشيعية، بعدما كتب في مختلف العلوم والميادين، فصار يُقال رأي الشيعة كذا بعدما كان يُقال رأي العالم الفلاني كذا.

أمّا المرجعية السياسية فاستردادها بالمستوى الذي يتناسب مع مسؤولية القيادة النائبة في عصر الغيبة كان استردادًا تدريجيًا طويل الأمد، بدأ مع توسّع البحث في الفقه عند العلماء من الأمور الخاصة إلى الأمور العامة، وصولًا إلى تطبيق ولاية الفقيه وتأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران بقيادة الإمام روح الله الموسوي الخمينيقدس سره، فكانت تتويجًا للمسار التكاملي الذي بدأ برواية الحديث والإفتاء بنصّه، ثمّ التفريع المباشر منه، ثمّ تأسيس علم أصول الفقه، ثمّ تطور حركة الاجتهاد إلى مستوى الفقه الحكومتي وإدارة الدولة، مترافقًا مع تطور الوعي الاجتماعي لأهمية الرجوع إلى الإسلام وأهليته في إدارة الحياة، والذي كان نتاجًا تراكميًا لجهود وجهاد العلماء في زمن الغيبة، إلّا أن الصياغة الأرقى لهذا الوعي كانت على يد الإمام الخمينيقدس سره.

وفي هذا السياق يمكن اعتبار انتصار الثورة الإسلامية في إيران أعظم حدث في تاريخ البشرية بعد البعثة النبويّة الشريفة من حيث التطور المجتمعي الإيجابي نحو تحقيق الإرادة الإلهية. وقد تمثّل ببناء دولة التمهيد والنموذج المصغّر لدولة العدل الإلهي الكبرى، وذلك على يدي الإمام روح الله الموسوي الخمينيقدس سره حامل اسم النبي الذي كان مرشحًا لتأسيسها في زمنه روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام كما تقدّم.

---

(1) انظر: التنكابني، محمد بن سليمان، **قصص العلماء**، ترجمالك وهبة، المحجة البيضاء، بيروت، 1992، ص.ص421-437.

الفصل الثاني

الغيبة

قبل الولوج التفصيلي في الغيبتين الصغرى والكبرى، من المناسب الإشارة السريعة إلى العامل الرئيسي المؤثّر في تحديد الخيارات الضرورية أو الأصيلة من قبل أئمة الهدى عليهم السلام، والذي يجعلهم يغيّرون استراتيجياتهم تبعًا لتوفره أو انتفائه. إنّه دور الخواص والنخب الذين تؤثّر مواقفهم في الرأي العام سلبًا أو إيجابًا. ومن يتتبع سيرة الأئمة عليهم السلام يمكنه اكتشاف عظيم هذا الأثر، وخاصة في المراحل المفصليّة التاريخيّة منذ السقيفة مرورًا بأسباب ونتائج حروب الإمام علي عليه السلام وندائه الموجع أواخر حياته الشريفة بحثًا عن أصحابه:«**أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية...**»[1]، إلى غربة الإمام الحسن عليه السلام وملحمة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وامتدادًا إلى الغيبة[*].

---

(1) **نهج البلاغة**، الخطبة 182.

(*) للتوسّع يمكن الرجوع إلى البحث الرائع للإمام الخامنئي دام ظله في كتابه «**عوام وخواص أهل الحق والباطل**».

وقد مررنا على هذه الإشارة لأهميتها في قراءة السياق التاريخي والسنني، ولرفع التباسٍ قائمٍ على المقولة المشهورة، وهي أن الإمام ﷺ ينتظر جهوزية الأنصار. وهذا صحيح مع الشرط الذي ذكرناه وهو حضور النُخب والقادة، وإلا فإن احتشاد مئة ألف من المقاتلين مع أمير المؤمنين عليه السلام لم ينفعه في تحقيق أهدافه بل كان يبحث عن أمثال عمّار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ومالك الأشتر.

المبحث الأول

التمهيد للغيبة

عند الحديث عن التمهيد للغيبة لا بدّ من ملاحظة نقطتين:

أولاهما، أنه كما اعتمد الأئمة عليهم السلام أساليب للتمهيد للغيبة، فإن بعض الظروف التي فُرضت عليهم ساهمت في التمهيد للغيبة بشكل من الأشكال. لذا يمكن القول إن هناك تمهيدًا اختياريًا، وهناك تمهيد قهري فرضته الظروف السياسية والأمنية، مثلًا: إذا سُجن الإمام ولم يستطع التواصل مع شيعته، فإن الشيعة ستعتاد على التواصل اللامباشر مع الإمام، وهذا يمهد للغيبة، لذا يمكن تسميته بالتمهيد القهري، وهو ليس محل بحثنا.

ثانيتهما، أن التمهيد الاختياري ينقسم إلى تمهيد عام سبق عصر الغيبة بمدّة زمنيّة طويلة، وتمهيد خاص قارب زمن الغيبة. وهذا موضع بحثنا.

أولا: التمهيد العام

نقصد بالتمهيد العام ما سبق عصر الغيبة بفترة زمنيّة طويلة، من خطوات ساهمت في التهيئة للغيبة نفسيًا وفكريًا واجتماعيًا. وهذه الخطوات كثيرة حتمًا إلا أننا سنشير إلى أبرزها:

1. الروايات الصادرة عن الرسول الأكرم ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده، التي تُحدّث المسلمين عن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه قبل قرابة ثلاثة قرون من وقوع الغيبة. وهذه الروايات كثيرة، نذكر منها كمثال: ما ورد عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعةً فاختارني منها فجعلني نبيًا، ثم اطلع الثانية فاختار منها عليًا فجعله إمامًا، ثم أمرني أن أتخذه أخًا ووليًا ووصيًا وخليفةً ووزيرًا، فعليٌّ مني وأنا من علي، وهو زوج ابنتي وأبو سبطيَّ الحسن والحسين، ألا وإن الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججًا على عباده، وجعل من صلب الحسين أئمةً يقومون بأمري، ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي، ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة، فيعلن أمر الله، ويظهر دين الله عز وجل، يُؤيد بنصر الله ويُنصر بملائكة الله، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة»، ثم قال عليه السلام: «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته و يغيب شخصه»[2].

2. اعتماد الأئمة لمنهج خاص في تنمية المواهب العلمية لدى قواعدهم، ما أسهم في بناء كيان علمي وفكري للشيعة في زمن الغيبة. فنلاحظ أن الأئمة عليهم السلام لم يرتضوا لأصحابهم أن يكونوا ناقلي أحكام شرعية فقط، بل أرادوا منهم أن يستنبطوا الفروع الشرعية من أصولها، لذا كانوا يُرجعون أصحابهم إلى كتاب الله للوقوف على أجوبة المسائل التي تواجههم، كما نلاحظ ذلك في إجابة الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال

---

(1) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص258.

(2) م.ن، ص303.

أحد أصحابه عن حكم الجبيرة، فقال له: «هذا وأشباهه يعرف من كتاب الله»، وقرأ له قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]. ويدلّ أيضًا على نهجهم التربوي والإعدادي هذا ما صدر عنهم لخواصهم من توجيهات لإفتاء الناس والتصدّي لأسئلتهم. فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأبان بن تغلب: «اجلس في مسجد المدينة، وأفتِ الناس، فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك»[2]. وقال له الإمام الصادق عليه السلام: «يا أبان، ناظر أهل المدينة، فإنّي أُحبّ أن يكون مثلك من رواتي ورجالي»[3].

وسأل هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السلام عن أسماء الله عز وجلّ ومشتقاتها، فأجابه، وقال له: «هل فهمت يا هشام فهمًا تدفع به أعداءنا الملحدين بنا»؟ قال: نعم، قال: «نفعك الله عزّ وجلّ به وثبّتك». وقد نُقل عن هشام قوله: أما والله ما من أحد قهرني أو غلبني في مباحث التوحيد حتّى اليوم في مقامي هذا[4].

وعن عبد الله بن أبي يعفور، قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه، قال: فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي؟ فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهًا»[5].

3. نظام الوكلاء: أسّس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام نظام الوكلاء حين اتّسعت الرقعة الجغرافية للقاعدة الموالية لهم. وقد اختاروا من بين أصحابهم وثقاتهم من أوكلوا إليه جملة من المهام التي لها علاقة بالإمام عليه السلام، مثل قبض الأموال وتلقي الأسئلة والاستفتاءات وتوزيع الأموال على مستحقّيها بأمر الإمام عليه السلام. إضافة إلى مهمة الإرشاد وبيان الأحكام.

وكان الوكيل يخفف العبء عن الإمام وشيعته في ظروف تشديد الرقابة على الإمام

---

(1) سورة الحج، الآية 78.

(2) النجاشي، **رجال النجاشي**، مركز آل البيت العالمي للمعلومات، ص11.

(3) الحلّي، **خلاصة الأقوال**، مركز آل البيت العالمي للمعلومات، ص74.

(4) القمي، عباس، **منتهى الآمال**، تعريب نادر التقي، بيروت، الدار الإسلامية، 2003، ج2، ص326.

(5) الطوسي، **اختيار معرفة الرجال**، تعليق ميرداماد الأسترأبادي، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، 1983، ص384.

عليه السلام من قبل السلطة، كما كان يتولّى مهمة بيان مواقف الإمام عليه السلام السياسية حين لا يكون من المصلحة أن يتولّى الإمام عليه السلام بنفسه بيان مواقفه بشكل صريح ومباشر.

وغدا نظام الوكلاء حلقة الوصل والمؤسسة الوسيطة بين الإمام عليه السلام وأتباعه في حال حضور الإمام عليه السلام ولا سيّما عند صعوبة الارتباط به.

كما أنه أصبح البديل الوحيد للارتباط بالإمام عجل الله فرجه في زمن الغيبة الصغرى. وحيث إنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يعلمون ويتوقّعون الوضع المستقبلي للإمام المهدي عجل الله فرجه كما أخبرت بذلك نصوص النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، كان الخيار الوحيد للإمام المعصوم في عصر الغيبة الصغرى أن يعتمد على مثل هذه المؤسسة الواسعة الأطراف والمهامّ. ومن هنا كان الاعتماد على الثقات من جهة، وتعويد الأتباع للارتباط بالإمام عليه السلام من خلال وكلائه أمرًا لا بد منه، وهذا الأمر يحتاج إلى سياسة تعتمد السنن الاجتماعية وتأخذها بعين الاعتبار، ولا يمكن لمثل هذه المؤسسة البديلة أن تستحدث في أيام الغيبة الصغرى بل لا بد من التمهيد لذلك بإنشائها وإثبات جدارتها تاريخيًا من خلال مراجعة الوكلاء والتثبت من جدارتهم، وتجذّر هذه المؤسسة في الوسط الشيعي ليكون هذا البديل قادرًا على تلبية الحاجات الواقعية لأتباع أهل البيت عليهم السلام. ومن هنا كان يتسع نشاط هذه المؤسسة ويزداد أهميّة دورها كلّما اشتدت الظروف المحيطة بالإمام المعصوم عليه السلام وكلّما اقترب الأئمة عليهم السلام من عصر الغيبة.

وبالإضافة إلى الوثاقة والمقدرة العلمية، كان لا بد من إيجاد رابطة عاطفية تربط الشيعة بالوكلاء، وذلك للتخفيف من الصدمة العاطفية الناجمة عن غياب المعصوم عليه السلام. لذا نجد في كثير من الروايات الشريفة إشارات واضحة إلى سمو مقام الوكلاء، وعلو شأنهم، حتى أن بعض الروايات أعطتهم كرامات تقرب من كرامات المعصومين عليهم السلام. فعن يونس بن يعقوب قال: «كنت بالمدينة، فاستقبلني جعفر بن محمّد عليه السلام في

بعض أزقّتها، فقال: **اذهب يا يونس، فإنّ بالباب رجلًا منّا أهل البيت**، فجئت إلى الباب فإذا عيسى بن عبد الله جالس، فقلت له: مَن أنت؟ قال: أنا رجل من أهل قم. قال: فلم يكن بأسرع من أن أقبل أبو عبد الله عليه السلام على حمار، فدخل على الحمار الدار، ثمّ التفت إلينا فقال: **أُدخلا**، ثمّ قال: **يا يونس، أحسب أنّك أنكرت قولي لك إنّ عيسى بن عبد الله منّا أهل البيت؟** قلت: إي والله جعلت فداك، لأنّ عيسى بن عبد الله رجل من أهل قم، فكيف يكون منكم أهل البيت؟ قال: **يا يونس، عيسى بن عبد الله رجل منّا حيًا، وهو منّا ميّتًا**[1].

وروي أنّ زكريّا بن آدم القمّي قال للإمام الرضا عليه السلام: «إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء بينهم، فقال عليه السلام: **لا تفعل، فإن أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام**»[2].

وعن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «**أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان، وكونه بين أظهرهم**»[3].

ويُروى أن رجلا من أهل الريّ قدم إلى الإمام عليّ الهادي عليه السلام فسأله: «**من أين قدمت؟** قال: كنت في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فقال: **لو أنّك تزور قبر عبد العظيم وهو عندك، تكن كمن زار الإمام الحسين عليه السلام**»[4].

إنّ هذا التفاعل الذي يبديه أئمة الهدى عليهم السلام ليس تعبيرًا عاطفيًا عفويًا تجاه أصحابهم وخاصّتهم، إنما هو توجيه تربوي بصير في سياق إستراتيجية حكيمة تهدف إلى رفع مستوى الارتباط بين الشيعة وكفلائهم من حدود المرجعية العلمية إلى حدود أوسع تصل إلى الارتباط الروحي والمعنوي، لتسهيل مهمة العلماء في القيادة الاجتماعية والسياسية في زمن الغيبة.

---

(1) المفيد. **الآمالي**. تحقيق حسين الأستاذولي وعلي أكبر الغفاري. ط2. بيروت. دار المفيد. 1993. ص140.

(2) القمي. عباس. **منتهى الآمال**. م.س. ج2. ص410.

(3) الطوسي. **اختيار معرفة الرجال**. م.س. ج2. ص828.

(4) القمي. عباس. **منتهى الآمال**. م.س. ج1. ص345.

ثانيًا: التمهيد الخاص

يمكن البدء برصد حركة التمهيد الخاص من خلال قصّة السيدة نرجس، وزواجها من الإمام العسكري عليه السلام، وذلك لما في القصّة من دلالات غيبيّة تُظهر العناية الإلهية الخاصّة بولادة مولانا الحجّة وحماية مسار الحجج الإلهيين. وقد اخترنا عرض القصة بطولها، لتمكين القارئ من الاطّلاع التفصيلي على ما له دخل بحياة مولانا بقية الله عليه السلام، وللتبرك بذكر سيدتنا نرجس الطاهرة «سيّدة الإماء».

أ. زواج الإمام العسكري عليه السلام

قال بشر بن سليمان النخّاس، وهو من ولد أبي أيّوب الأنصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمّد، وجارهما بسرّ من رأى: أتاني كافور الخادم فقال: مولانا أبو الحسن عليّ بن محمد (الهادي) يدعوك إليه، فأتيته فلمّا جلست بين يديه قال لي: يا بشر إنّك من ولد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بسرّ أطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع أمةٍ، فكتب كتابًا لطيفًا بخطّ رومي ولغة رومية، وطبع عليه خاتمه، وأخرج شقيقة صفراء فيها مائتان وعشرون دينارًا.

فقال: خذها وتوجّه بها إلى بغداد، واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السّبايا، وترى الجواري فيها ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس، وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البُعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك، إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا لابسة حريرين صفيقين تمتنع من العرض ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة روميّة من وراء ستر رقيق، فاعلم أنّها تقول: واهتك ستراه.

فيقول بعض المبتاعين: عليّ ثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول له بالعربية: لو برزت في زيّ سليمان بن داوُد وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة،

فاشفق على مالِكَ، فيقول النّخاس: فما الحيلة ولا بدّ من بيعك، فتقول الجارية: وما العجلة ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته.

فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له: إنّ معك كتابًا ملصقًا لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخطّ روميّ، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلمّا نظرَت في الكتاب بكت بكاءً شديدًا، وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرّجة والمغلّظة أنّه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أشاحّه في ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدّنانير، فاستوفاه وتسلّمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبها، وهي تلثمه وتطبّقه على جفنها وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنها.

فقلت تعجّبًا منها: تلثمين كتابًا لا تعرفين صاحبه؟ فقالت: أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الرّوم، وأمّي من ولد الحواريّين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون أنبّئك بالعجب.

إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين من القسّيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشاير أربعة آلاف، وأبرز من بهيّ ملكه عرشًا مصنوعًا من أصناف الجوهر ورفعه فوق أربعين مرقاة، فلمّا صعد ابن أخيه وأحدقت الصّلب وقامت الأساقفة عكّفًا ونشرت أسفار الإنجيل، تسافلت الصّلب من الأعلى فلصقت بالأرض، وتقوّضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار، وخرّ الصاعد من العرش مغشيًّا عليه، فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم.

فقال كبيرهم لجدّي: أيّها الملك اعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال دولة هذا الدين المسيحي، فتطيّر جدّي من ذلك تطيّرًا شديدًا، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصّلبان، وأحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جده لأزوّجه هذه الصبية، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

ولمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأوّل وتفرّق الناس، وقام جدّي قيصر مغتمًّا فدخل منزل النساء وأرخيت السّتور، وأُريت في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي، ونصبوا فيه منبرًا من نور يباري السّماء علوًّا وارتفاعًا في الموضع الذي كان نصب جدّي فيه عرشه، ودخل عليهم محمّد ﷺ ووصيّه عليه السلام وعدّة من أبنائه عليهم السلام.

فتقدم المسيح إليه فاعتنقه، فيقول له محمّد ﷺ: يا روح الله إنّي جئتك خاطبًا من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأومأ بيده إلى أبي محمّد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد أتاك الشرف، فصل رحمك رحم آل محمّد ﷺ قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر فخطب محمّد ﷺ وزوّجني من ابنه، وشهد المسيح عليه السلام وشهد أبناء محمّد عليهم السلام والحواريون.

فلمّا استيقظت أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل، فكنت أسرّها ولا أبديها لهم، وضرب صدري بمحبة أبي محمّد عليه السلام حتى امتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي ودق شخصي، ومرضت مرضًا شديدًا، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلاّ أحضره جدي وسأله عن دوائي، فلمّا برح به اليأس (قال): يا قرة عيني وهل يخطر ببالك شهوة فازوّدكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدّقت عليهم ومنّيتهم الخلاص، رجوت أن يهب لي المسيح وأمه عافية.

فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحة من بدني قليلًا، وتناولت يسيرًا من الطعام، فسر بذلك وأقبل على إكرام الأُسارى وإعزازهم، فأُريت بعد أربع عشرة ليلة

كأنّ سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني، ومعها مريم ابنة عمران وألف من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيدة نساء العالمين أمّ زوجك أبي محمّد عليه السلام، فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد عليه السلام من زيارتي.

فقالت سيدة النساء عليها السلام: إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى، وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله تعالى من دينك، فإن ملت إلى رضى الله ورضى المسيح ومريم عليهما السلام وزيارة أبي محمّد إيّاك، فقولي: أشهد أن لا اله إلاّ الله، وأنّ أبي محمّد رسول الله.

فلمّا تكلّمتُ بهذه الكلمة ضمّتني إلى صدرها سيدة نساء العالمين عليها السلام، وطيّبت نفسي وقالت: الآن توقّعي زيارة أبي محمّد فإنّي منفذته إليك، فانتبهت وأنا أنول(*) وأتوقع لقاء أبي محمّد عليه السلام.

فلمّا كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمّد عليه السلام وكأنّي أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبك، فقال: ما كان تأخّري عنك إلاّ لشركك، فقد أسلمت وأنا زائرك في كلّ ليلة إلى أن يجمع الله تعالى شملنا في العيان، فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

(قال بشر) فقلت لها: وكيف وقعت في الأسر؟ فقالت: أخبرني أبو محمّد عليه السلام ليلة من الليالي أنّ جدك سيسيّر جيشًا إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثم يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زيّ الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت ذلك فوقعت علينا طلايع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر بأنّي ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك بإطلاعي إيّاك عليه، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت نرجس، فقال: اسم الجواري.

قلت: العجب أنّك رومية ولسانك عربي، قالت: نعم من ولوع جدي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب، أن أوعز إلى امرأة ترجمانة لي في الاختلاف إليّ، وكانت تقصدني

(*) أنول : أتمنى.

صباحًا ومساء وتفيدني العربية حتى استمر لساني عليها واستقام، (قال بشر): فلمّا انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام، فقال: كيف أراكِ الله عزّ الإسلام وذل النصرانية، وشرف محمّد وأهل بيته عليهم السلام؟

قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به منّي؟ قال: فإنّي أحببت أن أكرمك فما أحب إليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد؟ قالت: بشرى بولد لي، قال لها: أبشري بولد يملك الدنيا شرقًا وغربًا، ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

قالت: ممن؟ قال: ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالرومية، قالت: من المسيح ووصيّه؟ قال لها: ممّن زوجك المسيح عليه السلام ووصيه؟ قالت: من ابنك أبي محمّد عليه السلام؟ فقال: هل تعرفينه؟ قالت: وهل خلَت ليلة لم يرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيدة النساء عليها السلام؟

قال: فقال مولانا: يا كافور أدعُ أختي حكيمة، فلمّا دخلت قال لها: ها هي، فاعتنقتها طويلًا وسُرّت بها كثيرًا، فقال لها أبو الحسن عليه السلام: يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن، فإنّها زوجة أبي محمّد وأم القائم عليه السلام [1].

ب. ولادة الإمام المنتظر عجل الله فرجه

عن السيدة حكيمة أنّها قالت: كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي (الإمام العسكري) عليه السلام وأقبل يحدّ النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلّك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال: لا يا عمّة لكنّي أتعجّب منها.

فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل، الذي يملأ الله به الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي.

---

(1) الطوسي، الغيبة، منشورات الفجر، بيروت، ص.ص124-128.

قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن (الهادي عليه السلام) فسلّمت وجلست، فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعثي بنرجس إلى ابني أبي محمّد، فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك، فقال: يا مباركة إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر، ويجعل لك في الخير نصيبًا.

قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي، وزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد عليه السلام وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أيّامًا ثم مضى إلى والده، ووجّهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمّد عليه السلام مكان والده، وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يومًا تخلع خفّي، فقالت: يا مولاتي ناوليني خفّك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله لا أدفع إليك خفّي لتخلعيه ولا لتخدميني، بل أنا أخدمك على بصري.

فسمع أبو محمّد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله يا عمة خيرًا، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس، فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف، فقال عليه السلام : يا عمّة بيّتي الليلة عندنا، فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل، الذي يحيي الله عز وجل به الأرض بعد موتها.

فقلت: ممّن يا سيدي، ولست أرى بنرجس شيئًا من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلّبتها ظهرًا لبطن، فلم أرَ بها أثرًا من حَبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت، فتبسّم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحَبل، لأنّ مثلها مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى عليه السلام .

قالت حكيمة: فذهبت إلى نرجس وأخبرتها، فقالت: لم أرَ شيئًا ولا أثرًا، فبقيت الليل هناك، وأفطرت عندهم ونمت قرب نرجس، وكنت أفحصها كلّ ساعة وهي نائمة فازدادت حيرتي، وأكثرت في هذه الليلة من القيام والصلاة، فلمّا كنت في الوتر من صلاة الليل قامت نرجس فتوضّأت وصلّت صلاة الليل.

ونظرت فإذا الفجر الأوّل قد طلع فتداخل قلبي الشك، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام فقال: لا تعجلي يا عمّة فإنّ الأمر قد قرُب، فرأيت اضطرابًا في نرجس، فضممتها إلى صدري وسمّيت عليها، فصاح أبو محمّد عليه السلام وقال: اقرئي عليها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي.

فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ وسلّم عليّ، قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام: لا تعجبي من أمر الله عز وجل، إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغارًا، ويجعلنا حجة في أرضه كبارًا، فلم يستتمّ الكلام حتى غيّبت عنّي نرجس، فلم أرها كأنّه ضرب بيني وبينها حجاب.

فعدوت نحو أبي محمّد عليه السلام وأنا صارخة فقال لي: ارجعي يا عمة فإنّك ستجدينها في مكانها، قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الحجاب بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجدًا على وجهه، جاثيًا على ركبتيه، رافعًا سبّابتيه (نحو السماء) وهو يقول: «أشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ جدّي رسول الله، وأنّ أبي أمير المؤمنين»، ثمّ عدّ إمامًا إمامًا إلى أن بلغ إلى نفسه، فقال: «اللهم أنجز لي وعدي، وأتمم لي أمري، وثبّت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلًا وقسطًا»[1].

ج. دور الإمام العسكري عليه السلام في التمهيد للغيبة

إنّ من أهم انجازات الإمام العسكري عليه السلام هو التخطيط الحاذق لصيانة ولده المهدي عجل الله فرجه من أيدي العتاة العابثين الذين كانوا يتربصون به الدوائر منذ عقود قبل ولادته. ومن هنا كانت التمهيدات التي اتّخذها الإمام عليه السلام بفضل جهود آبائه السابقين عليهم السلام وتحذيراتهم تنصبّ أوّلًا على إخفاء ولادته عن أعدائه وعملائهم من النساء والرجال الذين زرعتهم السلطة داخل بيت الإمام عليه السلام، إلى جانب إتمام الحجة به على شيعته ومحبّيه وأوليائه.

(1) انظر: القمي، عباس، **منتهى الآمال**، م.س، ج2، ص559و560.

ففي مجال كتمان أمر الإمام المهدي عجل الله فرجه عن عيون أعدائه تزوّج الإمام العسكري عليه السلام من سبيّة من سبايا الروم (هي سيّدة الإماء كما عبّرت الروايات) ولم تكن للزواج أية مراسم ولا أية علامة بل كل ما تحقق قد تحقق بعيدًا عن أعين كثير من المقرّبين.

وقد خفيت الولادة حتى على أقرب القريبين من الإمام عليه السلام، فإنّ عمّة الإمام عليه السلام لم تتعرّف إلى حمل أم الإمام المهدي عجل الله فرجه فضلًا عن غيرها، ومن هنا كانت الولادة في ظروف سرّية جدًا وبعد منتصف الليل، وعند طلوع الفجر وهو وقت لا يستيقظ فيه إلاّ الخواص من المؤمنين.

وقد خطّط الإمام العسكري عليه السلام ليبقى الإمام المهدي عجل الله فرجه بعيدًا عن الأنظار كما ولد خفية ولم يطلع عليه إلاّ الخواص أو أخصّ الخواص من شيعته.

وأما كيفية إتمام الحجّة في هذه الظروف الاستثنائية على شيعته فقد تحقّقت ضمن خطوات ومراحل دقيقة، يمكن ذكرها كالتالي:

1. **النصوص المبشرة بولادته:** لقد جاءت النصوص المبشّرة بولادة المهدي عجل الله فرجه عن أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام تالية لنصوص الإمام الهادي عليه السلام التي ركّزت على أنه حفيد الهادي عليه السلام وأنّه ابن الحسن العسكري عليه السلام وأنّ الناس سوف لا يرون شخصه ولا يحلّ لهم ذكره باسمه، وأنه الذي يقول الناس عنه إنه لم يولد بعد، وأنّه الذي يغيب عنهم ويرفع من بين أظهرهم وأنه الذي ستختلف شيعته إلى أن يقوم، وعلى الشيعة أن تلتفّ حول العلماء الذين ينوبون عنه وينتظرون قيامه ودولته ويتمسّكون بأهل البيت عليهم السلام ويظهرون لهم الولاء بالدعاء والزيارة وأنه الذي سيكون إمامًا وهو ابن خمس سنين.
2. **الإشهاد على الولادة:** لقد قام الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالإشهاد على الولادة فضلًا عن إخباره وإقراره بولادته وذلك إتمامًا للحجّة بالرغم من حراجة الظروف وضرورة الكتمان التام عن أعين الجواسيس الذين كانوا يرصدون دار الإمام وجواريه قبل الولادة وبعدها.

فالسيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمام الجواد وأُخت الإمام الهادي وعمّة الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد تولّت أمر نرجس أُم الإمام المهدي عجل الله فرجه وشهدت ساعة الولادة[1].

وصرّحت بمشاهدة الإمام المهدي بعد مولده[2]، وصرّح الإمام العسكري عليه السلام بأنها قد غسّلته[3]، وساعدتها بعض النسوة مثل جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلى الإمام العسكري عليه السلام ومارية ونسيم خادمة الإمام العسكري[4].

3. **مداولة خبر الولادة بين خواص الشيعة:** تمثّلت هذه الخطوة بإخبار الإمام العسكري عليه السلام شيعته بأنّ المهدي المنتظر عجل الله فرجه قد وُلد، وحاول نشر هذا الخبر بين شيعته بكلّ تحفّظ. ولدينا ثمانية عشر حديثًا يتضمّن كلّ منها سعي الإمام عليه السلام لنشر خبر الولادة بين شيعته وأوليائه، وهي ما بين صريح، وغير صريح قد اكتفى فيه الإمام عليه السلام بالتلميح حسب ما يقتضيه الحال.

ومن هذه الأخبار: ما حدّث به سعد بن عبد الله عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي أنه خرج توقيع من أبي محمد عليه السلام جاء فيه: «زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل، وقد كذّب الله عزّ وجل قولهم والحمد لله»[5].

وعن أحمد بن إسحاق بن سعد أنه قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقًا وخُلقًا، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ثم يُظهره الله فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظُلمًا»[6].

---

(1) الصدوق. **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص415.

(2) الكليني. **الكافي**. م.س، ج1، ص330.

(3) الصدوق. **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص425.

(4) م.ن، ص421.

(5) م.ن، ص398.

(6) م.ن، ص409.

وعن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لمّا ولد الخلف الصالح عجل الله فرجه ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إلى جدّي أحمد بن إسحاق كتاب فإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كانت ترد به التوقيعات عليه وفيه: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستورًا وعن جميع الناس مكتومًا فإنا لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقرابته والوليّ لولايته...»[1].

4. عرضه على خواص الأصحاب: تمثّلت الخطوة التالية في إشهاد خاصة أصحاب الإمام العسكري عليه السلام على ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه ووجوده وحياته.

فعن أبي غانم الخادم أنه ولد لأبي محمد ولد فسمّاه محمّدًا فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: «هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جورًا وظلمًا فملأها قِسطًا وعدلا»[2].

قال أحمد بن إسحاق القمّي: «دخلت على أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده... فقلت له: يا ابن رسول الله، فمَن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعًا فدخل البيت، ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا»[3].

وعن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيّوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري (رضي الله عنهم) أنهم قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله وكنّا أربعين رجلًا فسُئِل عن الحجة من بعده فخرج عليهم غلام أشبه الناس به فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا»[4]، قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلّا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام.

---

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص434.

(2) م.ن، ص431.

(3) م.ن، ص384.

(4) م.ن، ص435.

5. تبيان جدارة الإمام المهدي ﷺ رغم صغر سنّه: تمثلت هذه الخطوة بإجابات الإمام المهدي ﷺ عن أسئلة شيعته في حياة أبيه، ليكشف لشيعته عن قابلياته الرّبانية التي يُختص بها أولياء الله.

وممّا حدّث به أحمد بن إسحاق حين سأل الإمام الحسن العسكري عن علامة يطمئن إليها قلبه حول إمامة المهدي ﷺ حين أراه إيّاه وقد كان غلامًا كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين: أن الغلام نطق بلسان عربيّ فصيح فقال: «**أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثرًا بعد عين يا أحمد بن إسحاق**»[1].

وقد حفلت مصادر الحديث الإمامي بكرامات الإمام المهدي ﷺ، وحلّه للمشاكل العويصة التي استعصت على كبار علماء الشيعة وفقهائها[2].

د. شهادة الإمام العسكري عليه السلام وبدء الغيبة

في الثامن من شهر ربيع الأول سنة 260 للهجرة استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام مسمومًا، عن عمر لم يجاوز الثمانية والعشرين ربيعًا، بعدما ضاقت السلطة به ذرعًا، ولم تستطع تشويه صورته، أو عزله عن قلوب المؤمنين، رغم السجن والحصار والإقامة الجبرية.

ولمّا بلغ أهل سامراء نبأ استشهاد الإمام عليه السلام ضجّت البلدة بأهلها، فتعطّلت الأسواق واجتمع الناس لتشييع جثمان الإمام عليه السلام، كما بعث الخليفة أخاه أبا عيسى ابن المتوكل لأداء الصلاة، ولمّا دنا لأداء الصلاة كشف عن وجه الإمام عليه السلام وعرضه على الحاضرين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد ابن الرضا مات حتف أنفه على فراشه. وهذا القول ممّا يثير الاستغراب والتساؤل، فليس معهودًا ذلك عند الصلاة على ميّت قبله، غير أنّه يكشف عن الرعب الذي كانت تعيشه السلطة وخشيتها من أن يُثار سؤال حول سبب موته، وهو لم يتجاوز الثلاثين عامًا وكان بكامل صحته، ولم

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص384.

(2) انظر: الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، راجع الأبواب الخاصة.

يشتكِ مرضًا. ثمّ غطّى وجهه الكريم وصلّى عليه وأمر بحمله. وهكذا كان ذهن السلطة مشحونًا بالتوجس والحذر مما يرونه مرتسمًا في أذهان الناس بوضوح، وإن لم تصرّح به الأفواه، وهو التهمة التي تشير إلى ضلوع الجهاز الحاكم بعمليّة اغتيال الإمام عليه السلام بدسّ السمّ إليه[1].

وبعيدًا عن المشهد الرسمي الذي أعدته السلطة، أقيمت صلاة أخرى على الإمام العسكري عليه السلام، إذ اجتمع جمع من محبي الإمام وأصحابه للصلاة عليه في منزله، فدعا عقيد (اسم لخادم في بيت الإمام) جعفر بن علي أخ الإمام العسكري إلى الصلاة على جثمان أخيه. وقبل أن يبدأ جعفر الصلاة، رأى المجتمعون داخل البيت صبيًا بوجهه سمرة، وبشعره قطط، وبأسنانه تفليج، يخرج ويجذب رداء عمّه، وينحّيه عن الجنازة، ويتقدّم للصلاة على أبيه عليه السلام.

وبعد أن أدّى الإمام المهدي عجل الله فرجه الصلاة، أُخرج جثمان الإمام العسكري عليه السلام للجمهور ومن ثمّ تمّ تشييعه وحمله إلى مثواه الأخير، ودُفن إلى جنب أبيه الإمام الهادي عليه السلام.

ومع استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، بدأت إمامة مولانا المهدي عجل الله فرجه وقد بلغ من العمر خمس سنوات، وبدأت أيضًا الغيبة الصغرى التي استمرت 69 عامًا، والتي كان الإمام عجل الله فرجه يتصل بقواعده خلالها عبر وكلائه ونوابه. ولعلّ أول نشاط قام به الإمام المهدي عجل الله فرجه للتعريف بإمامته بعد نصب السفير الأول هو لقاؤه بوفد القميين.

فقد ورد أنّه لما قُبض سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام وفد من قم وفود بالأموال التي كانت تحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام، فلما أن وصلوا إلى سر من رأي سألوا عن سيدنا الحسن بن علي عليه السلام، فقيل لهم: إنه قد فُقد، فقالوا: ومن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي، فسألوا عنه فقيل لهم إنه قد خرج متنزهًا وركب زورقًا في الدجلة يشرب ومعه المغنون.

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص426.

فتشاور القوم فقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نردّ هذه الأموال على أصحابها. فقال أبو العباس محمد بن جعفر الحميري القمي: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة.

فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي الأموال، فقال: وأين هي؟ قالوا: معنا، قال: احملوها إليّ، قالوا: لا، إن لهذه الأموال خبرًا طريفًا، فقال: وما هو؟ قالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران، ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه وكنا إذا وردنا بمالٍ على سيدنا أبي محمد عليه السلام يقول: جملة المال كذا وكذا دينارًا، من عند فلان كذا ومن عند فلان كذا حتى يأتي على أسماء الناس كلهم ويقول ما على الخواتيم من نقش، فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب ولا يعلمه إلا الله. فلما سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلى بعض فقال لهم: احملوا هذا المال إليّ، قالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال ولا نسلّم المال إلا بالعلامات التي كنّا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي عليه السلام، فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلا رددناها إلى أصحابها، يرون فيها رأيهم.

فدخل جعفر على الخليفة - وكان بسر من رأى - فاستعدى عليهم، فلما أُحضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال وهي وداعة لجماعة وأمرونا بأن لا نسلمها إلا بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام. فقال الخليفة: فما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمد؟ قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي. فإذا فعل ذلك سلمناها إليه، وقد وفدنا إليه مرارًا فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيمه لنا أخوه، وإلا رددناها إلى أصحابها. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم كذابون يكذبون على أخي وهذا علم الغيب. فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا

البلاغ المبين. فبهت جعفر ولم يردّ جوابًا، فقال القوم: يتطول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من (يرافقنا) حتى نخرج من هذه البلدة، فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها.

فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجهًا، كأنه خادم، فنادى يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا مولاكم، فقالوا: أنت مولانا؟ قال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه، قالوا: فسرنا (إليه) معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليه السلام، فإذا ولده القائم سيدنا عليه السلام قاعد على سرير كأنه فلقة قمر، عليه ثياب خضر، فسلّمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: جملة المال كذا وكذا دينارًا، حمل فلان كذا، وفلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب، فخررنا سجّدًا لله عز وجل شكرًا لما عرفنا، وقبّلنا الأرض بين يديه، وسألناه عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام أن لا نحمل إلى سر من رأى بعدها شيئا من المال، فإنه ينصب لنا ببغداد رجلًا يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات، قالوا: فانصرفنا من عنده ودفع إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئًا من الحنوط والكفن فقال له: أعظم الله أجرك في نفسك، قال: فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله[1].

(1) الصدوق. كمال الدين وتمام النعمة. م.س. ص478.

المبحث الثاني

السفراء في زمن الغيبة

بدأت الغيبة الصغرى عام 260 للهجرة، وانتهت عام 329 مع وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري. وسمّيت هذه الفترة بالغيبة الصغرى لعدم احتجاب الإمام ﷺ كليًّا عن قواعده حيث كان الاتصال يتمّ عن طريق السفراء الذين هم النواب الخاصّون للإمام ﷺ.

ولأن وجود السفراء شكّل ميزةً خاصّةً لهذه الفترة، كان لا بدّ من البحث عن تراجمهم وحياتهم (رضوان الله عليهم) والفرق في المميزات بينهم وبين الوكلاء.

أولًا: بين السفارة والوكالة

قبل بحث تراجم السفراء الأربعة للإمام المهدي ﷺ تنبغي الإشارة إلى الاختلاف الموجود ما بين السفير والوكيل. فهناك فرق بين وظيفة السفراء ووظيفة الوكلاء، فالسفير يعرف مكان الإمام ويدخل عليه، لذا يجب أن يتمتّع بشخصية أمنية وشجاعة وحنكة سياسية بالإضافة إلى التقوى والورع. أمّا الوكلاء فلا يعرفون مكان الإمام عليه السلام لأنهم لا يدخلون عليه، بل هو من يدخل عليهم، لذا يكفي أن يكونوا من العلماء الثقاة المأمونين، ولا يتطلب دورهم شخصية على درجة عالية جدًا من الحنكة الأمنية.

وهذا ما نستنتجه من جواب أبي السهل النوبختي (أستاذ السفير الثالث حسين بن

روح النوبختي) عندما سألوه: كيف صار الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فأجاب: «هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعلي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه»[1].

وقد أحصى الشيخ الصدوق أسماء اثني عشر شخصًا من وكلاء ونواب الإمام المهدي ﷺ في الغيبة الصغرى، وأضاف السيد محمد الصدر إليهم ستة آخرين استنادًا إلى ما ورد في المصادر التاريخية وكتب الرجال.

ثانيًا: السفراء الأربعة

بعد التفريق بين دور السفير والوكيل، نعرض لشخصية السفراء الأربعة الذين اختارهم الإمام ﷺ وشرّفهم ببركة السفارة والنيابة الخاصّة، وهم[2]:

1. السفير الأول الشيخ الموثوق أبو محمد عثمان بن سعيد العمري، المعروف بأبي عمرو، ويقال له السمّان لأنه كان يتجر بالسّمن تغطيةً على الأمر. وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد العسكري عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو، فيجعله في جراب السّمن ويحمله إلى أبي محمد العسكري عليه السلام تقيةً وخوفًا[3].

كان عثمان من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام وثقاته، وكان وكيلًا خاصًا له، وقد قال عنه الإمام الهادي عليه السلام: **«هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني قوله، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه»**[4].

ويظهر هذا النص لنا بوضوح مستوى الثقة العالية التي كان يتمتع بها عثمان بن سعيد ومنزلته الفريدة، وعليه كان يمثل مع جماعة آخرين دور الوساطة بين

---

(1) الطوسي، الغيبة، م.س، ص220.

(2) انظر: تاريخ الإسلام، ط3، المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية،قم، 1425هـ، ج4، ص.ص84 - 93.

(3) م.ن، ص214.

(4) م.ن، ص215.

الإمام عليه السلام وقواعده الشعبية، في الفترة التي بدأ الإمام فيها تطبيق مسلك الاحتجاب عن مواليه تعويدًا لهم على الغيبة التي سوف يواجهونها في حفيده المهدي عجل الله فرجه.

وبعد استشهاد الإمام الهادي عليه السلام أصبح عثمان بن سعيد وكيلًا خاصًا وموثوقًا لدى الإمام العسكري عليه السلام، فكان له نشاط وبراعة في العمل، وكان يتصف عمله بالسرية والكتمان التام، فكان يظهر كتاجر للسمن أمام الناس، تغطية على تحركه ومسلكه، لتضليل السلطة وعيونها، من أجل أداء دوره المناط به من قِبل الإمام عليه السلام.

ومن هنا كان الإمام العسكري عليه السلام يكثر مدحه والثناء عليه في مناسبات مختلفة أمام مواليه وشيعته، فمن ذلك أنه قال عليه السلام: «**هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقة في المحيا والممات، فما قاله فعني قوله، وما أدّى فعني يؤدي**». وقال عليه السلام أمام وفد من اليمن: «**امضِ يا عثمان، فإنك الوكيل والثقة، المأمون على مال الله**»[1]. واشتهر حاله وجلالة شأنه بين القواعد الشعبية الموالية للإمام عليه السلام، فوفدُ اليمن حين سمع قول الإمام عليه السلام فيه قالوا: يا سيدنا إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علمًا بموضعه من خدمتك وإنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى[2]. فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالته، وتتسالم على وثاقته وجلالة قدره.

وقد أمر الإمام العسكري عليه السلام عثمان بن سعيد بأن يشتري عشرة آلاف رطلٍ خبزًا وعشرة آلاف رطلٍ لحمًا يفرقه بين بني هاشم وأن يعق عن الإمام المهدي عجل الله فرجه بولادته المباركة.

وفي مجلس لخواص الإمام العسكري عليه السلام، جدد الإمام توثيقه لعثمان، فبعد أن عرض ولده المهدي عجل الله فرجه عليهم ونصّ على إمامته، قال لهم: «**فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه**»[3].

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص215و216.

(2) م.ن، ص216.

(3) م.ن، ص217.

ويعزز منزلة ومقام عثمان لدى الإمام العسكري عليه السلام وجوده أثناء تغسيل وتكفين الإمام العسكري عليه السلام. وبقي مضطلعًا بمهام السفارة، وقائمًا بها خير قيام، إلى أن وافاه الأجل فقام ابنه محمد بن عثمان، بتغسيله وتجهيزه، ودُفن في الجانب الغربي من بغداد.

وكتب الإمام المهدي عجل الله فرجه إلى ولده محمد معزيًا بوفاة والده عثمان قائلًا: «إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليمًا لأمره ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيدًا ومات حميدًا، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهدًا في أمرهم ساعيًا فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم، نضّر الله وجهه، وأقال عثرته... كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولدًا مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحّم عليه، وأقول الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله تعالى فيك وعندك أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفقك وكان لك وليًا وحافظًا وراعيًا»[1].

2. السفير الثاني الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري، تولّى السفارة بعد أبيه بنصٍ من الإمام العسكري عليه السلام حيث قال لوفد اليمن الذي أشرنا إليه: «**واشهدوا عليّ أن عثمان بن سعيد وكيلي، وأن ابنه محمد وكيل ابني مهديّكم**»، وأكّد ذلك نصّ أبيه على سفارته بأمر من الإمام المهدي عجل الله فرجه[2].

وكانت قواعد الشيعة الشعبية مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لا يختلف في ذلك اثنان من الإمامية، وكيف لا وفيه وفي أبيه قال الإمام العسكري عليه السلام لأحد أصحابه: «**العمري وابنه ثقتان فما أديّا فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان**»[3].

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص220.

(2) م.ن.

(3) م.ن، ص219.

وكلمات الإمام المهدي ﷺ فيه متظافرة ومتواترة، فقد رأينا عزاءه له بوفاة أبيه، وثناءه عليه وتشجيعه له وهو في أول أيام اضطلاعه بمهمته الكبرى. وقال فيه: «لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه، وأنضر وجهه، يجري عندنا مجراه ويسدّ مسده، من أمرنا يأمر وبه يعمل، وغير ذلك من عظيم الإجلال والإكبار...»[1].

وبقي محمد بن عثمان قائمًا بمسؤوليات السفارة نحو خمسين سنة حتى لقي ربّه في جمادى الأولى سنة 305 للهجرة. وكانت تخرج التوقيعات على يده من الإمام المهدي ﷺ، بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه.

وقد نُقلت عنه دلائل كثيرة، وظهرت على يده معجزات الإمام، وأخبر الموالين عن أمور زادتهم في هذا الأمر بصيرة[2].

وقد أخبره الإمام المهدي ﷺ بوفاته، وأمره بجمع أمره، وقد حفر قبره وسوّاه، ولما سُئل عن ذلك قال: للناس أسباب، قد أُمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين.

قال الراوي: فلمّا خرجت من عنده أثبتّ ما ذكره فلم أزل مترقبًا به ذلك، فما تأخّر الأمر حتّى اعتلّ أبو جعفر، فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها[3]. ودفن عند والده.

وقد أوصى إلى خلفه السفير الثالث الحسين بن روح بأمر من الإمام الحجّة المهدي ﷺ.

3. السفير الثالث الشيخ الجليل أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي: لمع نجمه كوكيل مفضّل لأبي جعفر محمد بن عثمان العمري، ينظر في أملاكه، ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة، وكان مختصًا به، فكان له عند الشيعة وموالي آل البيت

---

(1) الطوسي، الغيبة، م.س،ص220.

(2) م.ن، ص221.

(3) م.ن،ص222.

عليهم السلام منزلة رفيعة وعلى درجة عالية من الإكبار والإجلال، بما كان يحتمله من هذا الأمر، وما كان يختص بالمحافظة على سريّة وجود الإمام وكونه حلقة الوصل بينه وبين قواعده الشعبية، إلى أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه، فلم يُختلف في أمره، ولم يشكّ فيه أحد[1].

وقد قدم بعض الموالين بمال على أبي جعفر العمري للإمام عجل الله فرجه فأمرهم بإعطائها إلى الحسين بن روح، وحين ترددوا في ذلك باعتبار أن السفير هو أبو جعفر، أكد أبو جعفر على إعطاء المال إلى ابن روح، ذاكرًا أن ذلك بأمر الإمام المهدي عجل الله فرجه. وكان تحويله الناس إلى أبي القاسم الحسين بن روح قبل موته بسنتين أو ثلاث. حتى إذا اشتدت بأبي جعفر علّته، اجتمع لديه جماعة من وجوه الشيعة، فقالوا له: إن حدث أمر، فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عجل الله فرجه، والوكيل والثقة والأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعوّلوا عليه في مهماتكم، فبذلك أُمرت وقد بلّغت[2].

وقد صدر العديد من التأكيدات من قبل أبي جعفر على أبي القاسم الحسين بن روح. وسبب هذا التأكيد هو كون الحسين بن روح لم تصدر فيه توقيعات سابقة عن الأئمة عليهم السلام كما هو حال السفيرين الأول والثاني، لذا فإن أبا جعفر احتاج إلى توقيع وتأكيد من الإمام المهدي عجل الله فرجه يخرج بخطّه، توثيقًا للحسين بن روح عند قواعد الإمام عجل الله فرجه ومواليه، فلمّا مضى أبو جعفر وقع الاختيار عليه، وكانت الوصيّة إليه. في حين أنّ الأذهان كانت بعيدة عنه، وكان احتمال الإيكال إليه ضعيفًا عند رؤوس وأعيان الشيعة، حتى احتاج أبو جعفر لأجل ترسيخ فكرة الإيكال إليه وإيضاحها إلى تكرار الإعلان عن ذلك.

---

(1) الطوسي، الغيبة، م.س، ص227.

(2) م.ن.

وقد كانت الظنون تحوم حول أشخاص آخرين أرسخ من أبي القاسم ثقافة وتاريخًا، إلّا أنه عندما أوكلت السفارة إلى الحسين بن روح سلّم له الأصحاب، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع السفيرين الأول والثاني. والسبب في إيكال السفارة إلى ابن روح هو شخصيته الأمنية والسياسية المطلوبة لأداء دور السفارة، وقد فرّقنا سابقًا بين وظيفة كل من السفير والوكيل.

وعلى أي حال فقد تولّى الحسين بن روح السفارة سنة 305 للهجرة، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في شعبان عام 326 للهجرة، فتكون مدة سفارته حوالي 21 سنة. وكان أوّل كتاب تلقّاه من الإمام المهدي عجل الله فرجه كتاب يشتمل على الثناء عليه، ومشاركة الحملة التي بدأها أبو جعفر العمري في تعريف الحسين بن روح للرأي العام والأصحاب، ممن مشى على خط الأئمة عليهم السلام.

وعرف عن أبي القاسم التزامه الشديد بالتقيّة، بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنّة من المسلمين، يحفظ بذلك مصالح كبيرة، ويجلب بها قلوب الكثيرين. حتى أننا نقرأ أنه يدخل عليه عشرة أشخاص من العامة تسعة يلعنونه وواحد شكك، فيخرجون من عنده تسعة منهم يتقربون إلى الله بمحبته، وواحد واقف. يقول الراوي: لأنّه كان يجارينا من فضل الصحابة وما رويناه، وما لم نروه فنكتبه نحن عنه[1].

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على لباقته وسعة اطلاعه، وتوجيهه على هذا المسلك من قبل الإمام المهدي عجل الله فرجه. وقد تولّى أيّام سفارته الحملة الرئيسية ضدّ ظاهرة الانحراف عن الخطّ، وادعاء السفارة زورًا من قبل المنحرفين، وقام بتبليغ القواعد الشعبيّة توجيهات الإمام المهدي عجل الله فرجه في ذلك.

---

(1) الطوسي، الغيبة، م.س، ص228.

4. السفير الرابع الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمد السمري: تولّى السفارة من حين وفاة أبي القاسم بن روح سنة 326 للهجرة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى سنة 329 للهجرة، فتكون مدة سفارته ثلاثة أعوام.

ولم ينفتح السمري خلال هذا الزمان القصير على القيام بنشاطات موسّعة كالتي قام بها أسلافه من السفراء، ولم يستطع أن يكتسب ذلك العمق والرسوخ في القواعد الشعبية كالذي اكتسبوه، وإن كان الاعتقاد بجلالته ووثاقته كالاعتقاد بهم، وربما يعود ذلك إلى كون تلك السنوات مليئة بالظلم والجور وسفك الدماء، ما أدّى إلى تحجيم نشاط هذا السفير وقلّة فعاليته، وهذا السبب نفسه من الأسباب الرئيسة لانقطاع الوكالة بوفاة السمري، وعزم الإمام المهدي ﷺ على الانقطاع عن الناس، كما انقطع الناس عنه، وفرقتهم الحوادث عن متابعة وكلائه، إلى أسباب أخرى نشير إليها لاحقًا.

لذا نجد السمري (رضي الله عنه) يُخرج إلى الناس قبل وفاته بأيّام توثيقًا من الإمام المهدي ﷺ يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى وانتهاء عهد السفارة بموت السمري، ويمنعه عن أن يوصي بعد موته إلى أحد ليكون سفيرًا بعده. يقول الإمام المهدي ﷺ في هذا التوقيع: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورًا. وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، أفلا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

فكان هذا آخر خطاب خرج من الإمام المهدي ﷺ عن طريق السفارة الخاصّة، وآخر ارتباط مباشر بينه وبين الناس في الغيبة الصغرى.

قال الراوي فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: «**لله أمر هو بالغه**»، وقضى. فهذا آخر كلام سُمع منه[1].

ومن خلال استعراض حياة السفراء نلاحظ أن السفير الأول كان من أصحاب ووكلاء الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وقد أسهم ذلك في التخفيف من حدة الغيبة على القواعد الشيعية، وسبق معرفتها بوثاقة الشخص الذي سيكون واسطة بينها وبين إمامها، فهو قد قام بهذا الدور سابقًا على عهد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وإن بدائرة أضيق.

كذلك نجد أن السفير الثاني قد وثّق وأعلن عن نيابته للإمام المهدي عجل الله فرجه منذ عهد الإمام العسكري عليه السلام، بالإضافة إلى أنه ابن السفير الأول.

كما يلفت النظر في حياة السفراء، حجم التقية والحذر الذي مارسه السفير الثالث، ما يبرر ما أجاب به أبو السهل النوبختي من أن المعيار الأهم في اختيار السفير الثالث حرصه وحذره الأمني، بل حنكته وشجاعته النادرة، فقد سُئل أبو السهل النوبختي كيف صار الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فأجاب: «**هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعلي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه**»[2].

وهذا ما يؤشر إلى زيادة الضغط على الشيعة، فحركة السفير الثالث والرابع مختلفة تمامًا عن حركة السفيرين الأولين. بناءً عليه نعلم أن الظروف السياسية والأمنية ساهمت بشدّة في اتخاذ قرار إنهاء الغيبة الصغرى، إذ لم يعد باستطاعة السفير أن يتحرّك ويقوم بمهامه.

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص243.

(2) م.ن، ص220.

إشكاليات حول الغيبة

بعد عرض شخصيات السفراء، ينبغي الإجابة عن بعض الأسئلة التي تُثار في الأذهان حول الغيبة، ومنها: ما هي علة الغيبة الصغرى؟ ولماذا استمرت 69 سنة تقريبًا؟ ولماذا توقف عدد الحجج عند 12 معصومًا؟ وهل ولّدت الغيبة نقاط قوة للأمة المنتظرة؟ وكيف يمكن أن نستفيد من الإمام ﷺ في زمن غيبته؟

أولًا: علة الغيبة الصغرى ومدّتها

ما هي علّة الغيبة الصغرى؟ ولماذا كانت 69 سنة لا أكثر ولا أقل؟

سنقسم البحث هنا في ثلاث مسائل، هي: علة الغيبة، والخيارات البديلة للغيبة، ومدة الغيبة الصغرى.

أ. علّة الغيبة الصغرى

لمعرفة علّة الغيبة الصغرى نلجأ إلى المعصومين عليهم السلام الذين أوضحوا هذه العلّة، وذكروها في أحاديثهم قبل فترة من وقوعها، إذ أشارت الأحاديث إلى علتين أساسيتين لغيبته، هما:

1. مخافة القتل من قبل الظالمين في مرحلة كان فيها حفظ شخصه مساويًا لحفظ الدين: فعن زرارة قال: سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول: «**إن للقائم غيبة قبل أن يقوم**، قلت: ولِمَ؟ قال: **يخاف** - وأومأ بيده إلى بطنه»[1] أي يخاف القتل.
2. **أن لا يكون في عنقه بيعة لطاغية زمانه عند خروجه بالسيف.** وبيان وجه هذه العلّة أن الأصل في وظيفة الإمامة هو القيادة الإلهية المباشرة للمجتمع البشري نحو التكامل المعنوي والمادي، الأخروي والدنيوي، الجماعي والفردي. وقد حالت الظروف التاريخية دون بسط هذه القيادة لسلطانها بسبب خذلان الناس لأئمتهم. كما أن خيار المواجهة المباشرة للسلطة المغتصبة تضمّن مفاسد كبرى تصل إلى مستوى التهديد الوجودي للرسالة الخاتمة وذكر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، لذا اقتضت الحكمة تبنّي خيار المهادنة الظاهرية -بمعنى عدم القيام بالسيف وإعلان الثورة المسلّحة- في كثير من الأوقات، والعمل على بناء المجتمع الإسلامي تدريجيًا للوصول إلى مرحلة النضج لتكتمل مسؤوليته الرسالية. وبالتالي كان حفظ الإسلام مرهونًا ببقاء النموذج المعصوم في دائرة الفعالية الإصلاحية، وحفظ شخصه من ضرورات هذا الخيار. ولذلك لم يندفع الأئمة عليهم السلام إلى المواجهة المباشرة إلّا في حدود حاكمية المصلحة الدينية العليا كما فعل سيد الشهداء عليه السلام. وقد انصبّت جهودهم في اتجاه حفظ الشريعة وأنصارها المخلصين، والتحضير لإنجاز الوعد الإلهي على يدي الإمام الثاني عشر عليه السلام.

يتضّح إذًا أن ما عُبّر عنه بالبيعة لطاغية زمانهم كان إجراءً ضروريًا لإنجاز الوظائف التي تتيح لإمام الزمان في المستقبل قيادة المشروع نحو غايته. وعليه فلا معنى لأن يلجأ هو أيضًا لخيار البيعة ما دامت الوظيفة التي ادّخر لها هي القيام والثورة والثأر لله تعالى. وهذا معنى أن لا يكون في عنقه بيعة. ولا تعني - مطلقًا - المفهوم العرفي

---

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص481.

للبيعة والمتضمن الاعتراف بالشرعية أو الركون إلى الحاكم ولو كان ظالمًا، فإن تاريخ الجهاد السرّي والعلني لأئمة الهدى عليهم السلام ينافي هذا المعنى ويؤكد أنهم لم يستكينوا لحظة واحدة عن الجهاد والمقاومة، وهذا ما أدى إلى عدم تحمّل السلطة لبقائهم، وقامت باغتيالهم واحدًا بعد آخر.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «يبعث القائم وليس في عنقه بيعة لأحد»[1].

وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه قال: «ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى ابن مريم خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته، في صورة شاب دون أربعين سنة...»[2].

وفي توقيع ورد من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان: «...إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي...»[3]. فالمهادنة إذن - حتى الظاهرية منها - ليست جائزة له، ولأن الظروف التي أحاطت بحياته المباركة لم تسمح بإنجاز الوعد الذي كُتب تحقيقه على يديه، ومع انعدام الخيارات البديلة كان قرار الغيبة.

ب. الخيارات البديلة عن الغيبة

إن استعراض الخيارات المتاحة في حال عدم الغيبة، يوصلنا إلى قناعة مفادها أن الغيبة كانت الحل الوحيد المتبقي أمام الإمام عجل الله فرجه. فما هي هذه الخيارات؟

1. القيام بثورة: وهو أمر غير وارد، لأن الثورة التي ستؤدي إلى شهادة الإمام في ظلّ عدم توفّر مقتضيات النجاح، إنمّا تجوز في حال وجود حجة بعده، حيث كانت

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص480.

(2) م.ن،ص316.

(3) م.ن، ص485.

المعادلة زمن الإمام المهدي ﷺ تقول: حفظ شخص الإمام يساوي حفظ الدين، ولا يقاس ذلك على فعل الإمام الحسين عليه السلام حيث كانت المعادلة تقول: التضحية بشخص المعصوم وأهل بيته بهذه الطريقة، تساوي حفظ الدين، مع الحفاظ على الحجّة بعده، أي الإمام السجّاد عليه السلام.

2. **الرفع إلى السماء:** وهو أيضًا غير وارد، لأن الأرض لا تخلو من حجة «**لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت**»[1]. ولا يُنقض هذا برفع نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام. فإن الحجّة من بعده كانت متوفّرة في شمعون عليه السلام أو بطرس بحسب التسمية المسيحية[*].
3. **الظهور مع الحذر:** وهو غير متيسر، ويؤدي إلى هلاك الشيعة أيضًا، لأن ظهوره يصبح خطرًا عليه وعلى شيعته، حيث يسهل رصدهم والقضاء عليهم.

لذا نجد أن الغيبة كانت الحل الوحيد المتوفر للإمام ﷺ من أجل الحفاظ على الإسلام ببقاء حياته المباركة والبدء بتفعيل إدارته وقيادته السريّة بعيدًا عن المخاطر والضغوط، وصولًا إلى تحقيق المشروع الإلهي المتمثّل بإقامة الحكومة الإلهية الكبرى والتي بعث لأجلها جميع الأنبياء عليهم السلام.

ج. مدة الغيبة الصغرى

أمّا علة استمرار الغيبة 69 سنة، فلا يمكن القطع بها، ولكن يمكن ردّها - تحليليًا - إلى أنه بعد مُضي 69 سنة وهي مدة الغيبة الصغرى، يكون كل من رأى الإمام صغيرًا وعرف شكله قد استوفى حظّه من الدنيا ومات. فلو فرضنا أن وجهاء الشيعة الذين التقوا الإمام العسكري عليه السلام وتعرفوا إلى الإمام المهدي ﷺ كانت أعمارهم تتراوح ما بين 30 و 60 عامًا تقريبًا، فهذا يعني أن أعمارهم عند انتهاء الغيبة الصغرى ستكون بين 100 و 130 سنة، أي أن جيلًا كاملًا ممن رأى الإمام ﷺ يكون قد مات أو شارف على

---

(1) الكليني، **الكافي**، م.س، ج1، ص179.

(*) هو جد الإمام المهدي من جهة سلالة أمه.

الموت، وبالتالي انتفى تهديد أن يعرفه أحد، ما يسمح له بالظهور والحركة من دون أن يتعرف إليه أي شخص لا يملك أهلية السفارة والكتمان، وهنا ندخل إلى مرحلة غيبة العنوان، أي غيبته كإمام عن الناس، لا غيبة الشخص، بدليل ما رواه السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (رض): «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم في كل سنة، يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه»[1].

وينبغي الالتفات إلى الشبهة التي يطرحها البعض، والتي يُدّعى فيها أن الإمام ﷺ توفيّ بعد 69 سنة من غيبته (على اعتبار أن متوسط عمر الإنسان 70 سنة) ولم يغب الغيبة الكبرى، ولكن السفير الرابع اخترع فكرة الغيبة الكبرى لإخفاء وفاة الإمام ﷺ!! وفي مقام الجواب يصح القول: إننا لا نعتمد في إثبات الغيبة الكبرى وبقاء الإمام ﷺ حيًّا على إخبار السفير الرابع فقط مع التأكيد على صدقه ووثاقته، وإنما نعتمد بالإضافة إلى ذلك على الدليل العقلي العام الذي يثبت ضرورة وجود الحجة في كل زمن، ونعتمد أيضًا على الروايات المتواترة من السنة والشيعة التي تتحدث عن عدد الأئمة والخلفاء، فضلًا عن الروايات المتواترة عن رسول الله ﷺ وأهل بيت العصمة عليهم السلام التي ذكر فيها أسماء الأئمة عليهم السلام، إضافة إلى عددهم وغيبة الثاني عشر منهم، والتي كانت مشهورة في العصر العباسي، وهذه الشهرة تفسّر مستوى القلق الذي احتوى حكّام بني العبّاس في زمن العسكريين عليهما السلام خوفًا من ولادة المهدي الموعود.

ومن هذه الروايات التي وردت في كتب أهل السنّة: عن عامر بن سعد قال: «كتبت إلى ابن سمرة: أخبرني بشيء سمعته من النبي ﷺ. فكتب إلي: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[2].

---

(1) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2012، ج2، ص383.

(2) القندوزي، ينابيع المودة، دار الأسوة للطباعة والنشر، 1416هـ، ج3، ص290.

وعن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: «كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ فسمعته يقول: **بعدي اثنا عشر خليفة**، ثم أخفى صوته فقلت لأبي: ما الذي [قال عندما] أخفى صوته؟ قال: قال: **كلهم من بني هاشم**»[1]. والروايات في هذا كثيرة، ويُرجع في إشباع هكذا بحث إلى المطوّلات العقائدية في باب الإمامة. إلّا أننا سنذكر بعض هذه الروايات الموجودة في الكتب الشيعية تبركًا بها:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «لمّا أنزل الله عز وجل على نبيّه محمد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[2]، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمَن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: **هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمد المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه عني السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمد، ثمّ موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثمّ محمد بن علي، ثمّ علي بن محمد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ سميّي وكنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان...**»[3].

عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقًا و خُلقًا، تكون به غيبة وحيرة تضلُّ فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا»[4].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن علي بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي**

---

(1) القندوزي، **ينابيع المودة**، م.س، ج2، ص315.

(2) سورة النساء، الآية 59.

(3) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص253.

(4) م.ن، ص287.

عليها من بعدي، ومِن وُلده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا، والذي بعثني بالحق بشيرًا إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غَيبة؟ قال: إي وربي، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إن هذا الأَمر (أمر) من أمر الله وسرٌّ من سرِّ الله، مطوي عن عباد الله، فإياك والشك فيه فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر»[1].

عن علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله في أديانكم لا يزيلكم عنها أحد، يا بني إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هو محنة من الله عزّ وجل امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم دينًا أصح من هذا لاتبعوه قال: فقلت: يا سيدي من الخامس من ولد السابع؟ فقال: ... عقولكم تصغر عن هذا، وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه»[2].

عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قُلت ولِمَ؟ قال: يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه - ثم قال: يا زرارة وهو المنتظَر، وهو الذي يُشكّ في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف ومنهم من يقول: حمل(*) ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظَر غير أن الله عز وجل يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون. يا زرارة، إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»[3].

---

(1) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص288.

(2) الكليني، **الكافي**، ج1، كتاب الحجّة، باب **الغيبة**، ح2.

(*) أي مات أبوه وهو في بطن أمه.

(3) الكليني، **الكافي**، ج1، كتاب الحجّة، باب **الغيبة**، ح5.

عن الاصبغ بن نباتة قال: «أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكرًا ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين ما لي أراك متفكرًا تنكت في الارض، أرغبة منك فيها؟ فقال: لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يومًا قط، ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا، تكون له غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»[1].

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «فإن بَلَغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها»[2].

عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يَعلم بمكانه فيها إلّا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة مواليه»[3].

عن داود بن القاسم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام (*) يقول: «الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولِم جعلني الله فداك؟ قال: إنكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه»[4].

وبالعودة إلى بدء الغيبة الكبرى، نقول إن الغيبة الكبرى بما وفرته من حريّة الحركة والفعالية شكّلت بداية صعود خط الحق، أي بداية الظهور، بعدما تكفّلت الغيبة الصغرى تحقيق الهدفين التاليين:

1. **تعويد الشيعة على عدم مباشرة رؤية الإمام** عجل الله فرجه، لأن مَثَل الشيعة كان كمثل الفتى الذي يحتاج إلى أبيه ليأخذ بيده نحو الرشد لمواجهة التحديات بنفسه. وبما أن هذا اليتم سيتحقق فمن واجب الأب تقوية اعتماده على نفسه.

---

(1) الكليني. **الكافي**. ج1. كتاب الحجّة. باب **الغيبة**. ح7.

(2) م.ن. ح10.

(3) م.ن. ح19.

(*) أبو الحسن العسكري يعني الإمام علي الهادي عليه السلام.

(4) الكليني. **الكافي**. ج1. كتاب الحجّة. باب النهي عن الاسم. ح1.

2. قبول أن الشريعة يحملها غير المعصوم عليه السلام، وقد قام الإمام عجل الله فرجه بجعل وكيل الإمام العسكري عليه السلام سفيرًا أولاً له، وإلا كان من الصعب على الشيعة أن يثبتوا وثاقة أحد لم يباشروه مع المعصوم عليه السلام.

ثانيًا: لماذا توقف عدد الحجج عند 12 معصومًا؟

هذا السؤال من الأبحاث الاستثنائية المترتبة على ضرورة الغيبة، حيث يخطر ببال البعض التساؤل عن حكمة توقّف عدد الحجج من الأئمة عليهم السلام وعدم استمرار السلسلة المعصومة بعد الإمام الثاني عشر عليه السلام.

عقائديًا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالالتفات إلى أن الإمامة مجعولة في علم المولى (عز وجل) حين تعلقت إرادته بخلق العالم، بحيث لو لم يعلم الله وجود من يستحق هذه المنزلة الخاصة لأضرّ ذلك في كون النظام هو الأحسن والأصلح من كل جهة. فالعدد لا تحدده التقديرات البشرية إنما إرادة الله الحكيمة التي تعلقت بإيجاد هذا العدد من أصحاب الاستعدادات الخاصة الدخيلة في تكميل النظام وجعله مطابقًا للعلم والحكمة واللطف الإلهي.

أمّا من الناحية السننية والتفسير الاجتماعي فقد بنينا المنهج الذي اعتمدناه على محورية الإرادة الإلهية التي تعلقت بربط التكامل الإنساني المطلوب بشرط الاختيار، وعلى ذلك فسّرنا حركة الصراع واتجاهاته الإيجابية والسلبية، فما يليق بكمال المولى عز وجل فَعَلَه من خلال جعل السُنن وتعيين الحجج الشهداء، وما يليق بالحجج فعلوه من بذل الجهد في البلاغ المبين وتقديم النموذج اللائق للاقتداء، وبقي ما يجب على الناس من الاستجابة الاختيارية لإرادة الحجج الإلهيين. ولا يمكن في هذا السياق افتراض أن يأذن الله سبحانه باستخدام أوليائه للولاية التكوينية القاهرة في عملية الهداية لتعارضها المباشر مع التكامل الاختياري المطلوب. نعم يمكننا تصوّر إعمال هذه الولاية في بعض الموارد ضمن الشروط التالية:

1. أن لا يكون إعماله للولاية التكوينية بهدف رفع الابتلاء عن المعصوم عليه السلام بحيث يضرّ ذلك في إمكان الاقتداء به.
2. أن لا يؤدي إعماله لها إلى قهر الناس وإجبارهم على الإيمان، بحيث يضرّ ذلك بحكمة الابتلاء والاختبار.
3. أن لا يبلغ إعمالها مقدارًا يستوجب استدراج الناس إلى التكذيب ونزول العذاب الاستئصالي.
4. أن يكون في إعمالها بيان لحقٍ يضرُّ كتمانه في إقامة الحجة على الناس أو تتوقف عليه حماية أصل الدين، ولا يمكن استبداله بحجة أخرى.

ويترتب على ما تقدّم أن تتالي الحجج إذا ترافق مع التكذيب قد يصل إلى حدٍّ يستوجب الاستبدال أو الاستئصال. وبما أن الله كتب الأمان لأهل الرسالة الخاتمة برحمته العظمى محمد بن عبد الله ﷺ حيًا وميتًا كما ورد في بعض النصوص عند جميع المسلمين، فلا بدّ من جريان سنّة الإمهال لا الاستدراج، ولذا كانت غيبة الحجة المهدي عجل الله فرجه من مظاهر الرحمة الإلهية على المؤمنين، وإن كانت بسبب سوء اختيار المنكرين والمقصّرين.

ويمكننا بيان ذلك بمثال توضيحي يساهم في شرح السنّة الحاكمة على نظام الهداية الإلهية للناس: أهل الأرض كأهل قرية وهبها الكريم نورًا من مصباح يضيء القرية وينتفع منه كل مَن فتح نافذة بيته نحوه، غير أن أبناء هذه القرية الذين لم يعرفوا قيمة الهبة الإلهية بسبب عدم تأدبهم بالأخلاق والفهم الكافيين كسروا المصباح! فوضِع المصباح الثاني فكسروه، وهكذا إلى الحادي عشر، فبقي مصباح واحد! فهل يجوز في فعل الحكيم تعريضه لنفس المصير وهو المدّخر لإنارة كامل الأرض؟ قطعًا لا، لذا كان قرار الغيبة إبعادًا لحجة الله عن أيدي الطغاة والجهلة مع إبقاء نور هدايته من خلف الحجاب، فتمّ بذلك بقاء الحجّة مصونًا ولكن مع تخفيف في شروط الاستجابة وبدء حركة تكامل الفقهاء وتحملهم المسؤولية.

ففي المرحلة الانتقالية ومع انتهاء مدّة النيابة الخاصة للسفراء – هي مرحلة الشيخ المفيد– تحقق أمر إيجابي وهو تخفيف الحجية بالمقدار الذي يقتضيه عدم القدرة على رؤية شخص الإمام ودخول الإيمان به في عنوان الإيمان بالغيب النسبي، وانخفاض شروط تحمل المسؤولية في الاستجابة.

وهنا يمكننا توضيح الإجابة بما يلي: لو زادت الحجية عن 12 معصومًا، يجب أن يزيد مستوى الاستجابة من الناس، ومع علم الله تعالى بعدم تحقق ذلك وتعريض حججه للتكذيب والقتل، تكون الزيادة لغوًا في الفعل لا يُناسب الحكمة الإلهية. فعندما بلغ الأمر هذا المبلغ كان لا بد أن تتوقف الحجج الأصيلة وتبدأ مهمة الحجج النائبة من العلماء مؤقتًا. وهذا ما انتزعناه من نفس الفعل الإلهي وليس من التحليل الذهني المجرّد، حيث إنه عندما جعل الله الأئمة اثني عشر إمامًا ولم يزد عليهم علمنا أن الحجّيّة المنوطة بالعصمة الظاهرة اكتملت بهذا المقدار. فلا تقاس الحجية بالمزاج وإنما تنتزع من فعل الله الحكيم. ومن فوائد هذا اللطف رفع خطر نزول العذاب بالتكذيب المتكرر كما حصل مع بني إسرائيل مثلًا، وبذلك يكون غياب المعصوم فرصة أتاحتها العناية الإلهية لأهل الهداية مع استحكام الإعراض والانحراف الاجتماعي عن امتثال الإرادة الإلهية، ويصبح لتكامل أهل الإخلاص قيمة أكبر، وذلك لحصوله في غياب الإمام عليه السلام.

ولعلّه إلى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله:«**نحن صبّر وشيعتنا أصبر منا، لأننا صبرنا على ما نعلم، وصبروا على ما لا يعلمون**»[1]. فالفرق بيننا وبين المعصوم أن الحجية عندنا أقل، فأعطى الله قيمة لصبرنا. وكذلك قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**يا ليتني قد لقيت إخواني**، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله أولسنا إخوانك؟ قال: **أنتم أصحابي، إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني وصدقوني ولم يروني**»[2].

---

(1) المجلسي. بحار الأنوار. م.س. ج68. ص85.

(2) ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. دار الفكر. بيروت. 1995. ج30. ص138.

وبما أنّ القرار الإلهي بغيبة المعصوم، مقترن بحكمة ومنفعة، فيجب أن نبحث عنها، وإنّ انتقال الناس من مرحلة وجود المعصوم إلى مرحلة غياب المعصوم وتصدي غير المعصوم يحتاج إلى عناية خاصة، ومستوى تأهيل أعلى، لتخفيف عبء النيابة الكبيرة، وهذا ما بلغنا من عناية خاصة من الإمام ﷺ بالشيخ المفيد (رض)، والذي بدأنا معه نشهد ظهور الفعالية، فقد كان رضوان الله عليه رئيس الطائفة وإمام الكلام والعقيدة، المدافع القوي والمسدد عن المذهب. ثم استمرّ ذلك من خلال العناية الخاصة التي أُمر الشيخ المفيد - بالرؤيا الصادقة - إيلاءها للشريفين الرضي والمرتضى، وما كان من إشراف مباشر من الإمام ﷺ على ذلك، بحيث عندما كان يختلف أحدهما مع الشيخ المفيد في مسألة، كانت تحسم رسالة الإمام ﷺ الخلاف، كما في أحد أجوبته ﷺ: **«الحق مع ولدي والشيخ معتمدي»**[1].

ومما يؤيّد ما ذكرناه ما يروى من أن قرويًا جاء إلى الشيخ المفيد وسأله عن امرأة حامل توفيت وحملها حي، فهل نشقّ بطنها ونُخرج الولد أم ندفنها مع الولد؟ فقال الشيخ: تدفن مع الولد(*). فرجع القروي وفي الطريق جاءه راكب وقال له: أيها الرجل يقول لك الشيخ المفيد أن تشقوا بطنها وتخرجوا الطفل ثمّ تدفنون المرأة، وهكذا فعلوا. وبعد مدّة نقلت هذه الحكاية للشيخ المفيد فقال: لم أُرسل أحدًا، ومن المعلوم أنه صاحب الزمان ﷺ، فقرر الشيخ أن يترك الفتوى لأنه أخطأ فيها، فجلس في داره وأقفل على نفسه ولم يخرج، وإذ بتوقيع يأتيه من صاحب الأمر ﷺ قال له فيه: **«أفد يا مفيد عليك الفتيا وعلينا التسديد»**[2].

---

(1) التنكابني، محمد بن سليمان. **قصص العلماء**. م.س. ص.ص421-437.

(*) لعلّ ذلك لليأس من نجاة الطفل حسب علم ذلك الزمن بحيث يقتضي إنقاذه عملية قيصرية. وقد ورد في تفصيل القصة أن الراكب علمهم كيفية الجرح والتقطيب وموضعه.
وقد وردت القصة بصيغة أخرى كان السؤال فيها عن كيفية توجيه الأم عند الدفن إذا تعارضت مقاديم بدنها مع مقاديم بدن الطفل ولم يكن الشيخ ملتفتا إلى كون الطفل حيًا أم لا. ولكن الشاهد في الحالتين هو مظهر عناية الإمام ﷺ به.

(2) التنكابني، محمد بن سليمان. **قصص العلماء**. م.س. ص.ص421-437.

وتظهر أهمية التسديد في هذه المرحلة الانتقالية في خطورة سلب الوثاقة من المرجعية الدينية غير المعصومة عند تكرر خطئها، وبالتالي انهدام البنيان الذي شاده المعصومون عليهم السلام على امتداد مرحلة التحضير للغيبة في ترسيخ المرجعية النائبة للعلماء والفقهاء.

ثالثًا: الفرص المترتبة على تهديد الغيبة

إن كل تهديد يستبطن فرصًا يجدر الاستفادة منها، وغيبة الإمامة مع كل ما تحويه من ألم وغصّة وحرقة، إلا أنها تستبطن فرصًا عظيمة، ولولا ذلك لما كان القرار الإلهي مشتملًا على اللطف والحكمة. وقد عرف الشيعة كيف يستفيدون منها لإعداد مجتمعهم وتهيئة أنفسهم لنصرة مولاهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

فعلى المستوى الإنساني: كانت الغيبة فرصة أمام المجتمع البشري لاكتشاف قصور أي أيديولوجيا أو نظام فكري، غير النظام الإسلامي الأصيل، في تأمين احتياجات البشرية وسعادتها. وهذا يحتاج إلى أن يحكم البشرية كل من يدعي امتلاكه رؤية لحكمها وسياستها، ليتبيّن عجزه وقصوره عن الوصول إلى المستقبل المنشود.

وهذا ما عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام عندما قال: «**ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد وُلّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنا لو وُلّينا لعدَلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل**»[1].

فالإمام المهدي عجل الله فرجه لا يتحمل ولاءات تجريبية وتمديد الفرص، كما حصل مع الإمام أمير المؤمنين والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام، فالإمام عجل الله فرجه يأتي منتقمًا ولا يأتي هاديًا فقط، لأنه المدّخر لتحقيق الوعد الإلهي. لذلك فالذنوب الولائية لا محل للتوبة منها عند ظهور الإمام عجل الله فرجه، لأنه بعد خروجه وإقامة الحجة وفرز المعسكرات، لا مجال للمهلة والتغيير، فقد تمّت الحجّة وصرح الحق عن محضه. بل يكون جُلّ ذلك قد تحقّق قبيل

(1) النعماني. **الغيبة**. دار الجوادين. بيروت. 2011. ص282.

ظهوره الشريف، وهذا ما تدلّ عليه بعض الروايات، إضافةً إلى مقتضيات السنن التي تبرّر ظهور الغضب الإلهي بعد تحقّق شروطه واكتمال الحجّة.

أما على المستوى الديني: فإن غياب الإمام ﷺ فَرَضَ على العلماء الانتقال من كونهم نقلة ورواة فقط، إلى فقهاء وقادة وذلك لعدم توفر الاعتماد على الإمام في كثير من الحوادث. وقد كان الأئمة عليهم السلام يجيزون لبعض أصحابهم التفريع ويعلمونهم أصول الاستنباط رغم حضورهم عليهم السلام بين ظهرانيهم، تمهيدًا للتحدي الأكبر للأمة الذي تمثّل بغياب المعصوم ووضع العلماء أمام تحدٍ أكبر من الموجود في عصر حضوره عليه السلام.

وهذا التحمّل للمسؤولية في عصر الغيبة جعل علماءنا أكثر قدرة على الاجتهاد، فساهم ذلك في إعادة إحياء المرجعية العلمية تدريجيًا، ففي زمن الشيخ الطوسي الذي لقب بشيخ الطائفة، تأسست الحوزة العلمية في النجف الأشرف التي أعطت للتشيع هويته، بعد ذلك كانت مدرسة الحلة، والمدرسة العاملية بأهم أقطابها (الشهيدين الأول والثاني)، ثم انتقلت الحوزة العلمية تدريجيًا إلى قم المقدسة كما أخبرت الروايات، وحينها خرج التشيّع الأصيل من رحم المعاناة التاريخية، حتى وصلنا إلى التقاطع التاريخي الأهم منذ بعثة النبي الأعظم ﷺ وثورة الإمام الحسين عليه السلام ألا وهو انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

وهنا سؤال مشروع يطرح نفسه: على أي أساس حكمنا بأن انتصار الثورة الإسلامية هو أهم تقاطع زمني لصالح المشروع الإلهي بعد البعثة النبوية الشريفة؟

والجواب إن هناك معيارين لقياس عظمة الأحداث: معيار براغماتي مادي نفعي قائم على أساس حجم الإنجازات المحققة لصالح رغبة الإنسان المادية الأرضية، ومعيار آخر يعتمد على مدى أهمية الحدث في تحقيق الإرادة الإلهية ودفع المشروع الإلهي إلى الأمام؛ وعليه فعندما يُضرب الطاغوت، وتؤسس أم القرى، وينطلق المذهب الحق نحو قيادة الأُمّة المُرشّحة لقيادة المجتمع البشري، يمكننا القول حينها إن هذا الحدث يمثل تقاطعًا تاريخيًا مهمًا، بل حاسمًا في اتجاه مسار الصراع. وذلك يعتبر تثميرًا للجهود

الجبّارة التي قام بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الانحرافات، وفي حفظ الدين وأهدافه. ولولا إنجازات الأئمة عليهم السلام لما أمكن لأحد تحقيق أي إنجاز لصالح المشروع الإلهي، وبالتالي فالثورة الإسلامية هي إحدى ثمار وتجليات جهاد المعصومين عليهم السلام حين توفّر شرط الاستجابة البشرية لإرادتهم في بقعة جغرافية ومرحلة زمنية محددة.

وبانتصار الثورة الإسلامية استُرجعت القيادة السياسية تحت ظل ولاية الفقيه العادل التي مثّلت أرقى مراحل التكامل العلمي في زمن الغيبة، حيث إن حرمان أهل القيادة الإلهية من حقهم في الخلافة والمرجعية السياسية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان السبب في تخلف حركة الحق، ولا بد في عملية تصحيح المسار من رفع سبب الانحراف السلبي. وبناءً عليه نفهم معنى تأكيد الإمام الخميني قدس سره في حركته على أن إقامة الحكومة الإسلامية تشكّل الأصل الأولي في النظام التشريعي، وباقي الأحكام الشرعية تُشكّل فروعًا لهذا الأصل.

رابعا: وجوه الانتفاع بالإمام عليه السلام في زمن الغيبة

بما أن الأصل في الحجيّة الإلهيّة هو الظهور والتأثير والفعالية الهدائية، والغيبة استثناء فرضته الضرورة التاريخية، فإن المقدار الذي يفترض تعطيله من الفعالية هو ما فرضته تلك الضرورة والمقتصِر على ترك القيادة السياسية الاجتماعية الظاهرية التي لم تكن ممكنة بسبب المخاطر الأمنية والظروف الموضوعية. أمّا بقيّة لوازم الحجيّة، من الهداية والتسديد وما لا يتعارض مع الحذر الأمني، فيجب أن نعتقد بقاءه على الأصل. ولذا من يعتقد بألوان التأثير للإمام عجل الله فرجه في غيبته فذلك يناسب اعتقاده الأصل ولا يحتاج إلى دليل، بينما من ينكر ذلك فعليه إثبات مدّعاه بدليل.

وعليه، فإنّ ما نفهمه من وجوه الانتفاع به في غيبته يتّسع إلى أوسع دائرة ممكنة كما يظهر من التشبيه الوارد في روايات عدّة عن الإمام الصادق عليه السلام، وفي التوقيع الشريف الخاص بالإمام الحجّة عجل الله فرجه الذي لم يقيّد بوجه شبه محدد بين وجوه الانتفاع بالشمس ووجوه الانتفاع بالإمام عجل الله فرجه. فقد جاء في أحد توقيعات الإمام المهدي عجل الله فرجه في

بيان وجه الانتفاع به في غيبته: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، وأني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم»[1].

وبالتمعن بالتشبيه الذي بيّنه الإمام ﷺ في الاستفادة منه في غيبته، والاستفادة من الشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، نستأنس بوجوه الشبه التالية:

1. الشمس هي مصدر النور والإمامﷺ مصدر الهداية.
2. الشمس مصدر الحرارة، والإمامﷺ مصدر الشوق والانتفاع بدفئه.
3. الشمس تطهر الأرض، والإمامﷺ ضمان نقاء الشريعة وعدم انحرافها.
4. الشمس تحفظ المنظومة الشمسية وانتظامها، والحجةﷺ يحفظ الأرض وأهلها، إذ لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.
5. الشمس ضرورية للنمو، والارتباط بالإمامﷺ ضروري للتزكية والتكامل المعنوي.
6. الشمس هي وحدة قياس الزمن والعمر، والإمامﷺ هو وحدة قياس عمرنا الحقيقي، فعمرنا هو مقدار ما استفدنا به من تحقيق شروط اللياقة في انتظار الإمام ﷺ.
7. الشمس لا يمكن الانتفاع بضوئها إذا نظرنا إليها مباشرة فلا قدرة لأبصارنا على النظر نحوها، وبالتالي اختفاؤها يقلل من شدة نورها وعندها يمكننا النظر إليها، وغياب الإمام ﷺ أحد أسبابه عدم قدرتنا وأهليتنا للنظر إليه مباشرة، فصحيح أن غيابه يحرمنا من بركات حجيته الظاهرية المباشرة، لكنّه يوفّر لنا التأهيل التدريجي لمعرفته ثمّ التشرّف بلقائه والنظر إلى طلعته المباركة.

---

(1) الطبرسي، **الاحتجاج**، مؤسسة النعمان، النجف، 1966، ج2، ص284.

الفصل الثالث

شرائط الظهور وعلاماته بمقتضى المنهج السنني

يشترك مفهوما شرائط الظهور وعلامات الظهور لناحية سبق تحققهما على الظهور. ويولّد هذا الاشتراك خلطًا ما بين المفهومين، إذ إن كثيرًا من الناس يظنهما أمرًا واحدًا، ولكن الحقيقة أنهما مختلفان بشكل كبير، وأهم جهات الاختلاف بينهما، هي الأمور التالية[1]:

1. ارتباط الظهور بالشرائط ارتباط سببيّ علّي، وبتمام تحققها يتحقق الظهور، أما العلامات فلها دور الدلالة والإعلام والكشف عن وقوع الظهور بعدها. مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض العلامات، كوجود الدجال وقتل النفس الزكية، قد يكون مرتبطًا ارتباطًا عضويًا بالشرائط، بمعنى أن هذه العلامات من مسببات ونتائج عصر الفتن والانحراف الذي هو سبب التمحيص الذي بدوره هو سبب إيجاد أحد شرائط الظهور.

---

(1) تاريخ الإسلام، م.س، ج4، ص294و295.

2. العلامات عبارة عن عدة أحداث، قد تكون مبعثرة، ولا وجود لترابط واقعي بينها كونها سابقة على الظهور، أما الشرائط فلها – باعتبار التخطيط الإلهي الطويل – ترابط سببي ومسبّبي واقعي بالظهور.
3. قد لا تجتمع العلامات أصلًا في أي زمان، بل يحدث أحدها وينتهي، ثمّ يبدأ الآخر في زمن متأخر، وهكذا... كما أنها قد تجتمع صدفة أحيانًا، فهي حوادث مبعثرة في الزمان وكذلك مبعثرة بحسب الربط الواقعي. أما الشروط فلا بد أن تجتمع في نهاية المطاف، فهي توجد تدريجيًا، إلّا أنّ الشرط الذي يتحقق يستمر في البقاء ولا يزول حتى تجتمع كل الشرائط.
4. العلامات بصفتها دلالات وكواشف عن الظهور، فإن وظيفتها سوف تنتهي عند حدوثه، أما الشرائط فوظيفتها لا تنتهي عند حدوث الظهور بل تستمر بعده.
5. للشروط دخالة في التخطيط الإلهي، باعتبار توقف اليوم الموعود عليها، بل إن البشرية كلها كرسها التخطيط الإلهي لإيجاد يوم الظهور، أما العلامات فهي لإعلام المسلمين وتهيئتهم لاستقبال يوم الظهور ولها وظائف أُخرى.
6. علامات الظهور يمكن رصدها وملاحظتها وفحص ما تحقق منها، باعتبارها حوادث يمكن تحديدها، أما الشرائط فمن المتعذر التأكد من اجتماعها، كأن نعرف هل أصبح عدد الأنصار كافيًا أم لا.

والأهم من كلّ ما تقدّم هو اشتراك الأسباب والعلامات في أنّه كما لا يمكننا معرفة النصاب المطلوب من الأسباب لتحقق الظهور المبارك لخفائه علينا أصلًا، فكذلك لا يمكننا الجزم بعدد ونوع العلامات التي يجب تحققها لإمكان جريان البداء فيها كما سيأتي بيانه إن شاء الله. فلا بدّ من ترك الهامش الأوسع في اعتقاداتنا للمشيئة الإلهية والتدخّل الغيبي الذي يُصلح الأمر في يوم وليلة كما ورد في بعض النصوص المباركة.

وبعد تبيان الاختلاف ما بين شرائط الظهور وعلامات الظهور، سنفصّل الحديث في كل منهما.

المبحث الأول

شرائط الظهور

إن توفير شروط الظهور يعني إزالة الأسباب التي أدّت إلى الغيبة، فبإزالة الأسباب التي دفعت الإمام ﷺ إلى الغيبة نكون قد حققنا شروط الظهور. فالإمام لم يغب رغبة بالغياب، بل لوجود موانع لحركته وظهوره، فإذا أزيلت هذه الموانع، لن يبقى أي سبب يمنعه من الظهور.

وكما قلنا سابقًا فإن السببين الذين دَعَوَا إلى الغيبة هما:

1. الحفاظ على شخصه، باعتبار الشخص ضرورة لانتصار المشروع الإلهي.
2. أن لا يكون في عنقه بيعة لظالم.

ولذا فإن تحقيق شرائط الظهور يكون في توفير الظروف التي يكون فيها الإمام ﷺ آمِنًا لا يخشى القتل، وغير مضطر لمبايعة أي ظالم، بأي اعتبار كان. وهذا ما يستدعي بناء قوّة إسلاميّة عالمية منقادة للإمام ﷺ تحرسه وتحفظه وتدافع عنه وعن مشروعه، وتستبسل في نصرته ونصرة المشروع الإلهي العظيم الذي سيتحقق على يديه.

ولا بدّ لهذه الدولة أن تكون مقتدرة وقويّة ومستقلّة عن كل الظالمين، لا تحتاجهم، ولا تضطر لممالقتهم، بل تواجه ظلمهم وتكسر شوكتهم.

لا بدّ من استكمال الشروط بمجموعة من الواجبات التي تفرضها طبيعة المهمة في زمن الغيبة، والتي يجب على أتباع الحق القيام بها، إحرازًا للمطلوب الذي ينتظره الإمام عليه السلام:

1. **إقامة الحجة على الناس في اتّباع الحق:** ففي كل صراع إذا لم يكن هناك من ينتسب إلى مشروع الحق، فلا يمكن أن يتقدم الصراع وتقوم الحجة على الناس في وجوب نصرة الحق.
2. **تقوية مواقع الحق ونشره:** سواء أكان في تقديم النموذج الفردي والجماعي أو بتبليغ أحكام الدين ونشر عقائده الحقّة.
3. **حماية الحق وأهله والمرشحين له:** إن أي حركة انتقال وانتماء تحتاج إلى ثلاثة شروط هي: قدرة البيان، وقوة البرهان، وامتلاك القوة المادية (قوّة الميدان). فلا يمكن أن يحصل الظهور ما لم يمتلك أتباع الحق حدًا ما من أصناف القوة هذه، ولعلّ الرواية التي تبين أحوال المتدينين آخر الزمان تشير إلى ذلك، فهي تشبّه القابض على دينه بالقابض على الجمر، أي شبّهت الدين بالجمر، فالقبض على الدين كما يؤدي للألم بسبب الضغوط والفساد الذي يحيط بمجتمع المتدينين، كذلك يمكن أن يكون سبب الألم توهجّ هذا الدين والحرارة التي يختزنها، وبالتالي نجد في التشبيه دلالتين واضحتين:
   - الأولى: هي الدلالة على شدّة الضغوط والعداءات المانعة من إظهار الدين.
   - الثانية: هي الدلالة على توهج الدين وحرارته الثورية بحيث يشعر القابض عليه بضرورة إظهاره وإطلاق شعاعه الهادي لجذب الناس إلى الحق.
4. **دفع الباطل ومواجهته:** من شرائط الظهور المواجهة المستمرّة مع الباطل، لأن توقّف المواجهة يسمح بتغلغل الباطل إلى الأفكار والقلوب، فتقبله الأنفس وتسكن إليه، ولعلّ هذا ما يرمي إليه الإمام الخامنئي قدس سره في قوله: «يجب أن يبقى تنّور الجهاد مشتعلًا».

المبحث الثاني

صفات ووظائف أتباع الحق في زمن الغيبة

من الشروط الموضوعية - والتي أشارت إليها الروايات الشريفة - لحركة الإمام ﷺ التغييرية توفّر جماعة قيادية مؤثرة في إدارة الناس وتوجيههم تحت ظلّ قيادته العظمى، وهذا ما تقتضيه طبيعة وحجم المهام التي سينجزها سلام الله عليه في ثورته ودولته. فعلى مَن كان من المؤمنين حريصًا على ظهوره المبارك وراغبًا في تحصيل رضاه، أن يكشف عن ساعد الهمّة لإحراز الصفات والكمالات المؤهلة للعمل في سبيل تحقيق إرادته. فمن كان من الله أقرب فهو عند الإمام أقرب، فلا بد من شدّ العزم لتحصيل المواصفات الضرورية لرضا الإمام ﷺ، والتي هي عين المواصفات لتحصيل رضا الله عز وجل. فالحكيم البصير هو الذي يكتشف بالتحديد مسؤولياته وتكليفه ولا يستهلك عمره في أمور قد لا تنفع. وهنا من المهم والضروري تحديد الأولويات الفردية والجماعية، وهذا يحتاج إلى ناظم وولي متصد في عصر الغيبة، يمهّد الأنفس لقبول الإمام، وتكون ولايته ولاية شاملة، ولاية حاكم لا مرشد أو واعظ، بحيث ينكشف فيه مقدار ولاء المؤمن وطاعته، وحينما يظهر الإمام يكون مهيّأً لطاعته. فإمامة عصر الغيبة تُشبه في وظيفتها تهيئة الصفوف لتكبيرة واحدة خلف الإمام الأصيل ليقيم جماعتها. ولذا تُعتبر طاعة الولي

الفقيه العادل مرحلة تحضيرية وتدريبية لتأهيل أتباع الحق لتحمّل أعباء مشروع الإدارة العالمية. وقد ورد في حديث رسول الله ﷺ إشارة إلى ذلك في قوله: «طوبى لمن أدرك قائم آل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه يتولّى وليَّه ويتبرّأ من عدوه»[1].

أولًا: الصفات على ضوء المهام

ولمعرفة المواصفات المطلوبة لنكون من جند الإمام ﷺ وقادة جيشه، يجب أن نعرف الوظيفة المرتقبة للإمام ﷺ؛ إذ إن الوظيفة هي التي تحدد المواصفات. ووظيفة الإمام عند ظهوره ستكون:

1. إقامة دولة العدل الإلهي على الأرض.
2. إقامة الدين وحكم الشريعة.
3. الثأر لجميع الأنبياء والأولياء. فالإمام المهدي ﷺ حامل ثأر الإمام الحسين عليه السلام الذي هو ثأر الله. والثأر يعني إعلان العبودية لله بالانتقام من عدوه، فالنهج الذي اعتدى على حرمة التوحيد، وأهل بيت التوحيد يريد الإمام الثأر منه.
4. تقويم مسار البشرية على المستوى المعنوي، أي توفير البيئة التربوية التي تساهم في إيصال الأرواح إلى كمالاتها.
5. إقامة الأمن بين أجزاء الكون، وليس فقط بين الناس.

وبناءً على هذه الوظائف نستطيع أن نحدد المواصفات المطلوبة في أصحاب الإمام وأنصاره، وهي:

1. **الإنصاف من النفس والأهل:** بالسعي لتحقيق العدالة الفردية والاجتماعية، فكل مَن في نفسه ميل نحو التعدي أو العصبية فليس مؤهلًا ليكون من أصحاب الإمام ﷺ.
2. **الفقاهة والمعرفة الدينيّة.**
3. **الجهوزية النفسية والمادية للقتال،** فلا بد من إعداد جيش قوي، وتحديث النفس بالغزو.

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج52، ص130.

4. الورع والتقوى والعبادة، وهذه صفة حاكمة لا بدّ من تحققها قبل غيرها.
5. القدرة على النظم، وهذا يحتاج إلى اختصاصات علمية في شتى المجالات.
6. العالمية، بمعنى امتلاك الرؤية المتناسبة مع أهداف الحكومة العالمية والخروج من الانتماءات القومية والقبلية والعشائرية والعائلية.

ثانيًا: صفات وأدوار أتباع الحق في الروايات الشريفة

لطالما رفعنا الأيدي داعين لأن نكون من أنصار الإمام المهدي ﷺ، وطالما رددنا في دعاء العهد «**اللهم اجعلني من أنصاره**»، وفي زيارة آل ياسين: «**ونصرتي لكم معدّة**»، وفي زيارة الحجة ﷺ يوم الجمعة: «**واجعلني من أنصاره**»...

لكن للأنصار صفات، فإن كنّا صادقين في أدعيتنا، فلا بد أن نلتمس الصفات في أنفسنا، جعلنا الله تعالى منهم. وفيما يلي بعض من صفات أنصار الإمام ﷺ وفق ما جاء في الروايات الشريفة:

1. مخلصون: فعن الإمام الجواد عليه السلام: «**ينتظر خروجه المخلصون**»[1]. وعنه أيضًا: «**فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره**»[2].
2. عابدون: ففي وصفهم ورد: «**رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل**»[3]، وورد أيضًا: «**رهبان بالليل**»[4].
3. ثابتون: فقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**لا يبالون في الله لومة لائم**»[5].
4. متولّون أولياءه ومتبرئون من أعدائه: فعن الرسول الأكرم ﷺ: «**طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه يتولّى وليّه ويتبرأ من عدوه**»[6].

---

(1) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص378.
(2) م.ن.
(3) الأصفهاني، محمد تقي، **مكيال المكارم**، تح: علي عاشور، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2001، ج1، ص65.
(4) م.ن.
(5) الكوراني، علي، **معجم أحاديث الإمام المهدي**، مؤسسة المعارف، قم، 1411هـ، ج1. ص408.
(6) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج52، ص130.

5. آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر: فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم عجل الله فرجه وفي حال غيبته: «**هؤلاء شيعتنا حقًا، وهم أنصارنا... يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**»[1].
6. رحماء بينهم وأشداء على الكفار: فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في وصف أنصار القائم: «**الليّنة قلوبهم لنا، والقاسية قلوبهم على أعدائنا**»[2].
7. أقوياء: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما يخرج إلا في أولي قوة**»[3]، وفي وصفهم قال عليه السلام: «**إن قلب رجل منهم أشد من زبر الحديد، لو مرّوا بالجبال الحديد لتدكدكت لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عز وجل**»[4].
8. شجعان: كما جاء في الرواية في وصفهم: «**ليوث بالنهار**»[5].
9. أصحاب بصيرة (لا يفتنون): روي عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «**وكذلك شيعتنا يميَّزون ويُمحصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرّها الفتنة**»[6]، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئًا**»[7].
10. مجهزون: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليعدّن أحدكم لخروج القائم ولو سهمًا، فإن الله تعالى إذا علم ذلك من نيته رجوت أن يُنسئ في عمره حتى يدركه فيكون من أعوانه وأنصاره**»[8].
11. غاضبون: فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام «جيش الغضب» فقال: «**أولئك قوم يأتون في آخر الزمان... أما والله إني لأعرف أميرهم واسمه... ذلك رجل من ذريتي**»[9].

---

(1) الحر العاملي، **أمل الآمل**، مكتبة الاندلس، بغداد، ج1، ص15؛16.
(2) م.ن، ج1، ص16.
(3) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص654.
(4) الحنيفي، النعمان بن محمد، **شرح الأخبار**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ج3، ص569.
(5) الأصفهاني، محمد تقي، **مكيال المكارم**، م.س، ج1، ص65.
(6) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص218.
(7) م.ن.
(8) م.ن، ص335.
(9) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج52، ص247.

12. موحّدون: عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا: «يُؤلّف الله بين قلوبهم»[1].
13. منظّمون: فعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم: «الزي واحد، واللباس واحد، كأنما آباؤهم أبٌ واحد»[2].
14. مُطيعون: ويكمل الإمام عليه السلام في وصفهم بقوله: «يكفونه ما يريد فيهم»[3].
15. مبتَلون: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن أصحاب موسى ابتلوا بالنهر... وإن أصحاب القائم يبتلون بمثل ذلك»[4].
16. عالميون: فقد جاء في الرواية بأن الإمام الحجة عجل الله فرجه «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا...»[5]، الأرض كل الأرض.
17. فدائيون: وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أصحاب الحجة المنتظر عجل الله فرجه: «يقونه بأنفسهم في الحروب»[6].
18. داعون بالشهادة: ويكمل أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم: «يدعون بالشهادة ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله»[7].

هؤلاء هم أنصار الإمام المنتظر (أرواحنا فداه) فهل نحن منهم؟

ثالثًا: طوائف أتباع الحق بحسب الروايات

بعد عرض المواصفات المطلوب توفّرها في أنصار الإمام المهدي عجل الله فرجه بناءً على الوظائف المطلوبة منهم والروايات الشريفة، لا بدّ من استعراض ما ذكرته الروايات عن رايات أنصار القائم عليه السلام وطوائفهم. وقد تحدثت الروايات عن أربع طوائف هم: عصائب أهل الحق، وأبدال الشام، ونجباء مصر، وأهل المشرق.

---

(1) الكوراني، علي، **معجم أحاديث الإمام المهدي**، م.س، ج3، ص100.
(2) م.ن، ج3، ص94.
(3) الأصفهاني، محمد تقي، **مكيال المكارم**، م.س، ج1، ص65.
(4) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص282.
(5) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص258.
(6) الأصفهاني، محمد تقي، **مكيال المكارم**، م.س، ج1، ص65.
(7) م.ن.

1. نجباء مصر: عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم»[1].

وبسند معتبر، عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «كأني برايات من مصر مقبلات خضر مصبغات، حتى تأتي الشامات فتهدى إلى ابن صاحب الوصيات»[2].

وبسند معتبر، عن الحسن بن الجهم قال: «سأل الرجل أبا الحسن عليه السلام عن الفرج، فقال: ما تريد، الإكثار أو أجمل لك؟ فقال: أريد تجمله لي. فقال: إذا تحركت رايات قيس بمصر ورايات كندة بخراسان. أو ذكر غير كندة»[3]. ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد، وليس فيه: أو ذكر غير كندة[4].

2. عصائب أهل العراق: عصائب جمع عصبة، وهم النفر القليل، ووفق الروايات تختلف الرايات في العراق إلى ثلاث، ولا تجتمع إلا مع الإمام عليه السلام في مسجد الكوفة. ففي الرواية عن أم سلمة: «... ويبعث به أهل الشام، فتنخسف البيداء بين مكة والمدينة، أتاه بدائل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه...».

3. أبدال الشام: قد تطلق كلمة أبدال على الأوتاد الذين تقوم عليهم الأرض كي لا تنخسف، وسموا كذلك لأنهم أعوان الإمام في غيبته، إذا مات أحدهم، استبدل بآخر فهؤلاء لا تجري عليهم مشيئة طول العمر الخاصة بالخضر والإمام المهدي عليه السلام. في الرواية عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لا بد لصاحب هذا الأمر من عزلة، ولا بد في عزلته من قوة، وما بثلاثين من وحشة، ونعم المنزل طيبة»[5].

وقد درجت عبارة أبدال الشام في عصر معاوية، باعتبار أن حكومة معاوية كانت في

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص284.

(2) المفيد، **الإرشاد**، م.س، ج2، ص376.

(3) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص449.

(4) المفيد، **الإرشاد**، م.س، ج2، ص376.

(5) م.ن، ج2، ص102.

دمشق، وكان يريد أن يعظّم من شأن أتباعه مقابل المهاجرين والأنصار، ففي كثير من روايات العامّة نجد تعظيمًا لبيت المقدس – وهو عظيم بلا ريب – لكن الترويج له كان لمكانته الجغرافية تحت ظل الحكومة الأموية، لا لقداسته الدينية فقط. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة وأومأ بيده إلى الشام»** [1].

إلّا أن هذا لا يعني أنّه لا أصل روائيًا للأبدال وأهل الشام في تراثنا، فعن الرسول الأكرم ﷺ قال: **«إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بالأعمال، وإنما دخلوها برحمة الله وسماحة الأنفس، وسلامة الصدر، ورحمة جميع المؤمنين»**[2].

والرواية الثانية المهمة ذُكرت في أمل الآمل منقولةً عن الشهيد الأول نقلًا من خط ابن بابويه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم عليه السلام وفي حال غيبته، ومَن أولياؤه وشيعته المتمثلون أمر أئمتهم والمقتفون لآثارهم والآخذون بأقوالهم؟ قال عليه السلام: **بلدة بالشام**.(هنا نلاحظ السريّة في ذكر البلدة فهو لم يُحدد)

قيل: يا ابن رسول الله إن أعمال الشام متسعة.

قال عليه السلام: **بلدة بأعمال الشقيف أوتون وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال.**

قيل: يا ابن رسول الله هؤلاء شيعتكم؟

قال عليه السلام: **هؤلاء شيعتنا حقًا، وهم أنصارنا وإخواننا والمواسون لغرينا والحافظون لسرنا، واللينة قلوبهم لنا، والقاسية قلوبهم على أعدائنا، وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا، تمحل البلاد دون بلادهم، ولا يصابون بالصواعق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعرفون حقوق الله، ويساوون بين إخوانهم، أولئك المرحومون**

---

(1) المتقي الهندي، **كنز العمال**، ط5، مؤسسة الرسالة، 1981، ج12، ص187.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج 57، ص216.

المغفور لحيهم وميّتهم وذكرهم وأنثاهم، ولأسوَدهم وأبيضَهم وحرّهم وعبدهم، وإن فيهم رجالًا ينتظرون، والله يحب المنتظرين [1].

نلاحظ من خلال الرواية أن مميزات أبدال الشام ليست مميزات عبادية، بل مميزات تتعلق بالتمهيد العملي لظهور الإمام ﷺ، وهو ما عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام بالانتظار، وهو حالة نفسية لا توصَّف جماعيًا إلا بسلوك، وهو التهيؤ للاستقبال. ومن هنا يمكننا فهم الحديث: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل»[2]، وهو كون المؤمن في حاله الآن كما يود أن يكون عند ظهور إمامه، قد استكمل جميع الشروط المطلوبة لاستقباله، وبذلك يستحق صفة المنتظر.

4. **أهل المشرق:** وقد تعددت أوصافهم في الروايات، لكنها تشير إلى جماعة واحدة.

فعن رسول الله ﷺ: «يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه»[3].

وعن رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتشريدًا وتطريدًا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فيُنصرون فيُعطَون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوه إلى رجل من أهل بيتي، فيملك الأرض فيملأها قسطًا وعدلًا كما ملأوها جورًا وظلمًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوًا على الثلج»[4].

عن عباد بن عبد الله الأسدي قال: «كنت جالسًا يوم الجمعة وعلي عليه السلام، يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس، فجاء الأشعث فجعل يتخطى الناس، فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء (يقصد الموالي غير العرب) على وجهك، فغضب عليه السلام. فقال ابن صوحان: ليبيّن اليوم من أمر العرب ما كان يخفى، فقال علي عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة (صفة لمن زاد لحمه عن أطرافه) يقبل

---

(1) الحر العاملي، **أمل الآمل**، م.س، ج1، ص15و 16.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج52، ص122.

(3) المتقي الهندي، **كنز العمال**، م.س، ج14، ص267 و268.

(4) الأربلي، ابن أبي الفتح، **كشف الغمة**، دار الأضواء، بيروت، ج3، ص272.

أحدهم يتقلب على حشاياه، ويُهجر قوم لذكر الله، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين؟ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمدًا ﷺ يقول: ليضربنكم والله على الدين عودًا كما ضربتموهم عليه بدءًا»[1].

روي في كتاب الغيبة للنعماني: عن أحمد بن هوذة، عن النهاوندي، عن عبد الله بن حماد، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن ابن نباتة، قال: «سمعت عليًا عليه السلام يقول: **كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل...**»[2].

وعن علي بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «**رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين**»[3].

وروى ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**ويحًا للطالقان فإن لله عز وجل بها كنوزًا ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال مؤمنون، عرفوا الله حق معرفته وهم أيضًا أنصار المهدي في آخر الزمان**»[4].

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «**قم عُشُّ آل محمد ومأوى شيعتهم...**»[5].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إذا أصابتكم بلية وعناء فعليكم بقم، فإنه مأوى الفاطميين ومستراح المؤمنين**»[6].

---

(1) ابن أبي الحديد المعتزلي، **شرح نهج البلاغة**، ط2، دار إحياء الكتب العربية، 1967، ج19، ص124.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج52، ص364.

(3) م.ن، ج57، ص216.

(4) الأربلي، ابن أبي الفتح، **كشف الغمة**، م.س، ج3، ص279.

(5) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج57، ص214.

(6) م.ن، ج57، ص215

وعن أبي عبد الله عليه السلام في وصف أصحاب القائم عليه السلام، قال: «كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون برياتهم بلدة إلا خربوها، كأن على خيولهم العقبان، يتمسحون بسرج الإمام، يطلبون بذلك البركة ويحفّون به، يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد فيهم، رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قيامًا على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالًا، بهم ينصر الله إمام الحق»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ستخلو كوفة من المؤمنين، ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم. وتصير معدنًا للعلم والفضل، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الجبال. وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهلها قائمين مقام الحجة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها، ولم يبق في الأرض حجة، فيفيض العلم منها إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب، فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم»[2].

---

(1) الأصفهاني، محمد تقي، **مكيال المكارم**، م.س، ج1، ص65.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج57، ص213.

المبحث الثالث

علامات الظهور

هناك أنماط مختلفة في التعامل مع علامات الظهور، فبعض المؤمنين يحوّلون العلامات إلى قيود تعبّدية تقعدهم عن الحركة والعمل، وتمنعهم من تهيئة شرائط الظهور، والبعض الآخر يجعل منها مؤشرات على اقتراب الأمل، وعاملًا مساعدًا على الاستمرار بالتمهيد وانتظار الفرج.

ولكي نستطيع أن نستفيد من العلامات استفادة إيجابية، لا بدّ من معرفة وظيفتها، ووضعها في سياقها الصحيح.

أولًا: وظائف علامات الظهور

قلنا سابقًا إن الدور الأساس لعلامات الظهور هو الدلالة على الظهور وتهيئة المسلمين له، كذلك فإن للعلامات بعض الوظائف المنبثقة عن دور الدلالة والتهيئة، وهذه الوظائف هي:

1. ربط الإنسان بالغيب، وبالتالي تعزيز الإيمان والثقة بمصادر الإخبارات الغيبية الذين صدقوا فيما مضى، وهم من أخبر بما سيأتي، ومنه الإخبار عن أحوال زمن الغيبة وما يليها من الظهور المبارك.

2. استعجال التوبة، لأن قيام القائم هو القيامة الصغرى. فعندما يقوم القائم ﷺ يصعب الانتقال من خط الباطل إلى خط الحق، فقد يثبت كلٌّ في خطه، نَعم يُمكن التوبة من الذنوب التي ليس لها علاقة بالانتماء إلى خط الحق والباطل.
3. منع اليأس، مع كثرة الابتلاءات، وإبقاء جذوة الأمل بالخلاص متقدة، ما يجعل المنتظِر يبذل كل ما يستطيع لإيمانه بوجود المنقذ.
4. منع الانحراف العقائدي، وفضح المدّعين، فالعلامات - والسفياني منها خاصة - تُشكل ضوابط لقبول أو رفض أي ادعاء للمهدوية.
5. تحذير الموالين وتنبيههم إلى المخاطر المترتبة على تخاذلهم، ودفعهم نحو العمل لمنع وقوع العلامات كما سيأتي بيانه في بحث جريان البداء في العلامات.

ثانيًا: تقسيم علامات الظهور

بعد استعراض أهم وظائف علامات الظهور لا بدّ من وضع هذه العلامات في سياقها الدلالي الصحيح، لذا سنقسّم علامات الظهور إلى ثلاثة أقسام وفقًا لدلالتها، لا لبعدها الزماني، وهذه الأقسام هي:

أ. علامات بعيدة (عامّة)(*)

هي علامات ذات مواصفات عامة ومجملة، لها قابلية الانطباق في كل زمان بما يتناسب معه. وقد يجري البداء في بعضها. وقد أحصى الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللَّهُ ما يقرب من أربعين علامة، جزء منها ظواهر وجزء أحداث، منها: انتشار الأمراض، شيوع موت الفجأة، قلة الأموال، الشح في الخيرات، شح النفوس، شيوع سوء الظن، تشبّه الرجال

(*) بمعنى أن دلالتها على الظهور دلالة بعيدة. لا أنها تحصل قبل الظهور بزمن بعيد. وللتوضيح نذكر المثال التالي: لو تراءى لنا من بعيد جسم ما، ولم تتضح مشخصاته، فقد يكون جماداً أو نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا. فإذا تحرّك علمنا انه ليس جماداً. وإذا انتقل من مكانه علمنا انه ليس نباتًا. وإذا ظهر أنه مستقيم القامة، علمنا أنه ليس حيوانًا. وإذا كان مرتديًا الحجاب، علمنا انه ليس ذكرًا. وإذا اقتربنا منه أكثر قد نكتشف أنه أنثى من أرحامنا. فدلالة الجسم الأول على بعض مراحل التشخّص وخاصة المرحلة الأخيرة كانت دلالة بعيدة، حيث يصلح للانطباق على أي منها. وكلّما ازدادت المشخصات ضاقت المصاديق واتضحت أكثر. ولمرور الزمن دور كبير في ذلك أيضًا.

بالنساء والنساء بالرجال، الشذوذ الجنسي، انتشار الطاعون، انتشار الحروب، كثرة الفتن بين المؤمنين، قطيعة الرحم وعدم التزاور، قلة حياء الزوج على زوجته، استخدام القرآن للزينة، التغني بالقرآن للأموات، هجران المساجد والعناية بتزيينها دون عمارتها، انتشار الموسيقى، حكم الصبيان والولدان، الاضطراب وانعدام الأمن، تشوه الطبيعة، عدم المبالاة بأحكام الشريعة، سرعة انقضاء الزمن (الزمن السيكولوجي والذي يقاس بكم الأحداث في الزمن الفيزيائي وهو مرتبط بتطور التقنيات والأحداث)، شيوع الكذب والغيبة [1].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه العلامات يفترض انطباقها على المشهد العالمي، أي يجب أن تكون هذه الظواهر والمشاكل مشتركة بين البشر، لذا تصبح العولمة التي هي توحيد لمشاكل البشرية ضرورة من ضرورات الظهور، وتصبح عولمة الاتصالات أداة مهمة لإيصال الخطاب المهدوي لكل أصقاع الأرض.

ب. علامات قريبة (خاصّة)

هي أقرب للشروط منها إلى العلامات، تتميز بالإبهام والسريّة، وتحتاج إلى تحليل، وعلى المنتظرين ترقبها بل المساهمة في صناعتها والاستعداد لحصولها، بمعنى التحضر والتهيؤ لها. فمثلها كمثل الفجر الكاذب كونه نورًا يطلع من الشرق، وهو شرط لطلوع الفجر الصادق ومبشر به، ولكنه يكون كاذبًا إذا ادعى أنه موعد الصلاة. وكذلك حال الرايات التي تخرج قبل ظهور الحجة، إذا ادعت أنها راية الإمام فهي راية ضلال. أمّا من يقول إن كل راية قبل خروج الإمام هي راية ضلال، فإنه يكون قد ردّ الروايات القطعية التي تدل على خروج رايات قبل الظهور منها راية اليماني والخراساني، ويكون أيضًا قد جعل الظهور الشريف بلا مقدمات سننيّة تمهيدية، وبالتالي لا يكون ظهور الإمام ﷺ مرتبطًا بالمعطيات التي فرضتها أسباب الغيبة.

---

(1) انظر: المفيد، **الإرشاد**، م.س، ج2.

وهنا يمكننا بناءً على فهم وتحليل الروايات أن نستخلص مجموعة من العلامات:

1. العلامة الأولى: إقامة دولة التمهيد في إيران، وهي دولة متصلة بالظهور، فقد ورد بسند معتبر، عن معروف بن خربوذ، قال: «ما دخلنا على أبي جعفر الباقر عليه السلام قط إلا قال: خراسان خراسان، سجستان سجستان، كأنه يبشرنا بذلك»[1].

ويدل عليها أيضًا الروايات السابقة التي تحدثت عن أهل المشرق الذين يوطئون للمهدي عجل الله فرجه سلطانه وعن أهل قم والفرس وقوم سلمان والخراساني... وكذلك تدل عليها خارطة حركة الإمام عجل الله فرجه من المدينة إلى الكوفة ودور جيش الخراساني في مواجهة السفياني[*]. حيث لا تتحدّث الروايات عن فرقة صغيرة تخرج لمواجهة جيش السفياني المؤلف من سبعين ألفًا. وما يناسب المهمّة خروج جيش من دولة. كما يدل عليها بالتحليل تبعًا للمنهج السنني ضرورة وجود الدولة الممهدة النموذجية التي تجذب البشرية نحو النموذج الأكمل للدولة العالمية بقيادة الإمام الحجة عجل الله فرجه.

ولعل نموذج القيادة الإلهية في زمن الغيبة والكمالات التي يتسم بها القائد الممهد للظهور ضرورة لجذب الناس للنموذج الأكمل وهو الإمام المهدي عجل الله فرجه.

2. العلامة الثانية: العولمة وما ينتج عنها من اتحاد لمشاكل البشرية يساهم في التمهيد لعالمية الحاجة إلى المنقذ، مع جلاء الحق، ويأس الناس عن البديل. وقد أشارت الروايات إلى هذا المعنى: بسند معتبر، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولّوا على الناس،

---

(1) المفيد، **الإرشاد**،م.س، ج2، ص282.

(*) من حديث للإمام الباقر مع جابر الجعفي:«..ويبعث السفياني جيشا إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفا، فيصيبون من أهل الكوفة قتلا وصلبا وسبيا، فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طيًا حثيثًا ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثًا إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشًا على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفًا يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام، وقال: فينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم، وهم من كلب...».

حتى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»[1]. فالإمام لا يظهر في لحظة عادية، إنما يظهر عندما يشعر الناس بحاجته، وتلهج ألسنتهم بذكره، وهذا التوجّه نحو الإمام ﷺ لا يتحقق إلّا مع اليأس من كل التجارب الإنسانية، وسطوع نجم الحق وادعائه امتلاك الحل لكل مشاكل العالم. إضافة إلى مساهمة العولمة في صياغة المشهد العالمي للعلامات البعيدة، وتقريب دلالتها على عصر الظهور. حيث إن نطاق انطباق العلامات - والظواهر خاصة - يجب أن يتّسع ليبلغ حدود العالم أو على الأقل مراكز النفوذ في العالم، لأن الدلالة على عصر الظهور وتحضير الناس لذلك لا يتحقق بمجرّد انطباق علامة على قرية أو بلد أو قبيلة ما دام المشروع الممهد له هو كلّ الأرض.

3. العلامة الثالثة: زوال الإمبراطوريات الكبرى أو ضعفها، ويؤيد ذلك ما يمكن فهمه من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾[2]. والقرية تطلق على الحاضرة مقابل البادية، وتطلق على الحضارة مقابل البداوة، والقرآن هنا يتوعّد بهلاك كل قرية قبل يوم القيامة. وهنا ثلاثة احتمالات:
   - أن تكون الدولة الهالكة بعد دولة الإمام ﷺ، ولكن لا دولة بعده.
   - أن تكون نفس دولة الإمام ﷺ، ولا معنى لهلاكها.
   - أن تكون قبل دولته المباركة، وهذا ينسجم مع الدليل.

ويدلّ على هذه العلامة التأمّل في خارطة الصراع بين الإمام ﷺ وأعدائه، حيث لا نجد مواجهة مع إحدى الدول الكبرى، وهذا يعني أن الحضارات الكبرى لن تكون ندًا أو خصمًا مباشرًا. وهذا ما يُضعف احتمال أن يكون هلاك هذه الدول على يد الإمام نفسه ومتزامنًا مع حركته العلنية.

---

(1) النعماني، الغيبة، م.س، ص282.

(2) سورة الإسراء، الآية 58.

وحينها يتحقق مضمون الحديث القائل: «**لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا**»، ويعود مشهد الصراع كما بدأ، صراعًا عقديًا بين إمامة الحق وإبليس، وتُحسم معايير التصنيف الولائي بين ركني الصراع التاريخي.

ويظهر أن حسم السيادة على العالم يكون بقهر السفياني الذي يمثّل واجهة الصراع للحلف الجامع لأعداء الله تعالى وهم اليهود والروم وبنو أميّة.، وهم بالمطابقة الأعداء الذين حاربوا رسول الله ﷺ وذريتّه الطاهرة عليهم السلام.

4. **العلامة الرابعة: زوال إسرائيل**، وتدلّ عليها أيضًا حركة الصراع والروايات التي تكشف أن الإمام عجل الله فرجه لا يدخل بيت المقدس مقاتلًا، بل يدخله إمامًا للصلاة.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه يفسّر قوله تعالى «**عبادًا لنا**» في سورة الإسراء بأهل قم، فيقول: «**هم والله أهل قم**»(*). كذلك فإنّه يفسّر قوله عز وجل في سورة الإسراء أيضًا «**وإن عدتم عدنا**»، ففي قوله عليه السلام: «**وإن عدتم بالسفياني عدنا بالمهدي**»(1)، إشارة إلى أن عباد الله الذين سيدخلون بيت المقدس هم من مشروع الإمام المهدي عجل الله فرجه، فإن عاد المهزومون بالسفياني عاد الله بحجته لقهره. أي أن زوال إسرائيل سيكون على أيدي الممهدين للإمام، وقبل ظهوره. فالعودة بعد الدخول الثاني بالسفياني تعني قهرهم وتتبيرهم قبل خروج السفياني الذي يعقبه خروج الإمام عجل الله فرجه.

ج. علامات مباشرة

وهي خمس علامات تحدث سنة الظهور ولا علاقة للاختيار بها، إنما هي بمثابة النتائج المترتبة على نضج الصراع في مسار المواجهة بين الحق والباطل.

ويعتبر السفياني من أقوى هذه العلامات وآكدها وتليه الصيحة من السماء. وقد

(*) عن عدة من أصحابنا: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسًا إذ قرأ الآية ﴿فإذا جاء وعدُ أولاهُما بعثنا عليكُم عِبادًا لَنا أُولي بأسٍ شَدِيدٍ فجَاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وكَانَ وعْدًا مفْعُولا﴾، فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟ فقال ثلاث مرات: هم والله أهل قم.

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج51، ص46.

جمعت الرواية التالية هذه العلامات الخمس: ما رواه الكليني، في الكافي، بسند معتبر، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني.** فقلت: جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أخرج معه؟ قال: لا» [1].

وسنعرض تفصيلًا لكل من العلامات الخمس بالاعتماد على الروايات المعتبرة المحققة[2]:

1. **السفياني:** اسمه عثمان بن عنبسة، من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، متنصّر في رقبته صليب، حليف للروم، يأتي من جهة المغرب، وهو أشقر أحمر أزرق، وحش الوجه قبيح، فيه أثر الجدري، من نظر إليه ظنّ أن له عينًا واحدة.

والسفياني ليس حالة، وإنما شخص، وقد ذكرته الروايات بالاسم والنسب والصفة، بشكل غير قابل للتأويل، وهذا ما تقتضيه ضرورة الوضوح في دلالته على الظهور.

- بسند معتبر، عن عمر بن يزيد قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس، أشقر أحمر أزرق، يقول: يا رب ثاري ثاري ثم النار، وقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه»[3].
- بأسانيد معتبرة، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «يا جابر، الزم الأرض ولا تحرك يدًا ولا رجلًا حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها: أولها اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدّث به من بعدي عني، ومناد ينادي من السماء، ويجيئكم صوت من ناحية دمشق بالفتح، وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وسيقبل

---

(1) الكليني، **الكافي**، م.س، ج8، ص310.

(2) هذه الروايات حققها سماحة الأستاذ الشيخ مالك وهبي العاملي شكر الله سعيه وغفر لوالديه.

(3) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، م.س، ص651.

إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة - يا جابر - فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسياء، فيقتتلون بها فيُقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشًا إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفًا، فيصيبون من أهل الكوفة قتلًا وصلبًا وسبيًا، فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طيًا حثيثًا ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثًا إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشًا على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفًا يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام. وقال: فينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم، وهم من كلب، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾. قال: والقائم يومئذ بمكة، قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيرًا به، فينادي: يا أيها الناس، إنا نستنصر الله فمن أجابنا من الناس فإنا أهل بيت نبيكم محمد ﷺ ونحن أولى الناس بالله وبمحمد ﷺ، فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجني في محمد ﷺ فأنا أولى الناس بمحمد ﷺ، ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾؟ فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليهم أجمعين. ألا فمن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا ومن حاجني في سنة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول الله، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما أبلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله وبحق رسوله وبحقي، فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله إلا أعنتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا فقد أخُفنا وظُلمنا وطُردنا من ديارنا وأبنائنا وبُغي علينا ودُفعنا عن حقنا وافترى أهل الباطل علينا، فالله الله فينا لا تخذلونا وانصرونا ينصركم الله تعالى. قال: فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، ويجمعهم الله له على غير ميعاد قزعًا كقزع الخريف، وهي - يا جابر - الآية التي ذكرها الله في كتابه: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد توارثته الأبناء عن الآباء، والقائم - يا جابر - رجل من ولد الحسين يصلح الله له أمره في ليلة، فما أشكل على الناس من ذلك - يا جابر - فلا يشكلن عليهم ولادته من رسول الله ﷺ ووراثته العلماء عالمًا بعد عالم، فإن أشكل هذا كله عليهم فإن الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه وأمه»[1]. والآيات الواردة في الرواية، ذكرها الإمام عليه السلام من باب التطبيق، لا من باب تفسير مورد النزول.

- بسند معتبر، عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب، ومن أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهرًا، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر، ولم يزد عليها يوما»[2].

---

(1) النعماني، الغيبة، م.س، ص289.

(2) م.ن، ص310.

- بسند معتبر، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «**إذا استولى السفياني على الكور الخمس، فعدوا له تسعة أشهر**». وزعم هشام أن الكور الخمس: دمشق، وفلسطين، والأردن، وحمص، وحلب[1].
- بسند معتبر، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إن السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة**. ثم قال عليه السلام: أستغفر الله حمل جمل، وهو من الأمر المحتوم الذي لا بد منه»[2]. والاستغفار هنا، كناية عن الإضراب عن الأشهر التسعة، إلى عدد اقل، فيكون المقصود انه لا يزيد عن حمل امرأة، بل هو أقل من ذلك.
- بسند معتبر، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**من المحتوم الذي لا بد أن يكون من قبل قيام القائم: خروج السفياني، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، والمنادي من السماء**»[3].
- بسند معتبر، عن عبد الملك بن أعين، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عجل الله فرجه فقلت له: أرجو أن يكون عاجلًا ولا يكون سفياني. فقال: **لا والله إنه لمن المحتوم الذي لا بد منه**»[4].
- عن أبي هاشم داوود بن القاسم الجعفري قال: «كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: **نعم**، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم فقال: **إن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد**»[5].
- بسند معتبر، عن سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا سدير الزم بيتك وكن**

---

(1) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص316.

(2) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص449

(3) م.ن، ص272.

(4) م.ن، ص312

(5) م.ن، ص315.

حلسًا من أحلاسه واسكن ما سكن الليل والنهار فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»[1]. طلب الرحيل إليهم، كناية عن أن الإمام ﷺ يكون قد أعلن عن نفسه، وعرف مكانه ليقصده من يريد نصرته.

- بسند معتبر عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا دخل القائم الكوفة لم يبق مؤمن إلا وهو بها أو يجيئ إليها، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام ويقول لأصحابه: سيروا بنا إلى هذه الطاغية فيسير إليه»[2]. دلت هذه الرواية على وجود طاغية في الكوفة، أو في العراق، أو ربما كان المقصود به السفياني.
- بسند معتبر، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «اتقوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله، فإن أشد ما يكون أحدكم اغتباطًا بما هو فيه من الدين لو قد صار في حد الآخرة وانقطعت الدنيا عنه، فإذا صار في ذلك الحد عرف أنه قد استقبل النعيم والكرامة من الله والبشرى بالجنة، وأمن مما كان يخاف، وأيقن أن الذي كان عليه هو الحق، وإن من خالف دينه على باطل، وإنه هالك فابشروا ثم أبشروا بالذي تريدونه. ألستم ترون أعداءكم يقتتلون في معاصي الله، ويقتل بعضهم بعضًا على الدنيا دونكم وأنتم في بيوتكم آمنون في عزلة عنهم؟ وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم، وهو من العلامات لكم، مع أن الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهرًا أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقًا كثيرًا دونكم. فقال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: يتغيب الرجل منكم عنه، فإن حنقه وشرهه فإنما هي على شيعتنا، وأما النساء فليس عليهن بأس إن شاء الله تعالى. قيل: فإلى أين يخرج الرجال ويهربون منه؟ فقال: من أراد منهم أن يخرج، يخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان، ثم قال: ما تصنعون بالمدينة،

---

(1) الكليني، الكافي، م.س، ج8، ص211.

(2) الطوسي، الغيبة، م.س، ص455.

وإنما يقصد جيش الفاسق إليها، ولكن عليكم بمكة فإنها مجمعكم، وإنما فتنته حمل امرأة: تسعة أشهر، ولا يجوزها إن شاء الله»[1]. أشارت هذه الرواية إلى أن السفياني سيضرب أعداءنا أيضًا، على طريقة إن الله تعالى لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، وأشارت إلى أن هناك فترة أمان بعد خروجه تمتد لشهرين، ثم بعد ذلك تتغير الأمور في بعض البلاد الإسلامية.

- بسند معتبر، عن عمر بن أبان الكلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كأني بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس رجل من شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره يقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم. أما إن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا، وكأني أنظر إلى صاحب البرقع، قلت: ومن صاحب البرقع؟ فقال: رجل منكم يقول بقولكم يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه، فيغمز بكم رجلًا رجلًا، أما إنه لا يكون إلا ابن بغي»[2].
- بسند معتبر، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرقت الكلمة وخرج السفياني» [3]. إذا كان المقصود باختلاف بني فلان اختلاف بني العباس، كما ذكرت روايات أخرى سبقت، فتكون هذه علامة قد تحققت منذ قرون، وتفرق الكلمة علامة ما زالت متحققة، وهذا يعني أنهم سيبقون على تفرقهم، وسيخرج السفياني في ظل تفرق الكلمة.

2. خسف البيداء: كما في الرواية السابقة عندما يبعث السفياني جيشًا إلى الكوفة ينهزم على يد الخراساني، وبعثًا إلى المدينة ينهزم بالخسف، وهذا هو بداية نهاية حكم

---

(1) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص311.

(2) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص450.

(3) الكليني، **الكافي**، م.س، ج8، ص209.

السفياني. وسنورد محل الشاهد من الرواية المذكورة: عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: «قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: ...ويبعث السفياني جيشًا إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفًا، فيصيبون من أهل الكوفة قتلًا وصلبًا وسبيًا، فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طيًا حثيثًا ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثًا إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشًا على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفًا يترقب على سنّة موسى بن عمران عليه السلام. وقال: فينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر...»[1].

3. قتل النفس الزكية بين الركن والمقام: وهو فتى هاشمي يخرج قبل خروج الإمام عليه السلام بخمس عشرة ليلة ليبلغ الناس بقدومه فيؤخذ ويذبح. فبسند معتبر، عن صالح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ليس بين قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة»[2].

ويخرج الإمام منتقمًا لهذا الدم، وهذا ما رواه الكليني، في الكافي، بسند معتبر، عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «متى فرج شيعتكم؟ فقال: إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته، وظهر الشامي وأقبل اليماني وتحرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه، وعمامته وبرده، وقضيبه، ورايته، ولامته، وسرجه، حتى ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده، ويلبس

(1) النعماني، الغيبة، م.س، ص289.

(2) الطوسي، الغيبة، م.س، ص445.

الـدرع، وينشر الراية والبردة والعمامة، ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره، فيطلع على ذلك بعض مواليه فيأتي الحسني فيخبره الخبر، فيبتدر الحسني إلى الخروج، فيثب عليه أهل مكة فيقتلونه، ويبعثون برأسه إلى الشام، فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه ويبعث الشامي عند ذلك جيشًا إلى المدينة فيهلكهم الله عز وجل دونها، ويهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد علي عليه السلام إلى مكة، فيلحقون بصاحب هذا الأمر، ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق، ويبعث جيشًا إلى المدينة فيأمن أهلها ويرجعون إليها»[1]. والشامي في هذه الرواية هو السفياني.

4. الصيحة: وهي صيحة في شهر رمضان، أن الحق في آل علي فاتبعوه ينادي بها جبرائيل بصوته، توقظ النائم، يسمعها كل ذي لغة بلغته، ويكون فيها ذهول، وصيحة ثانية في الليل، أن الحق في آل أبي سفيان أو في عثمان فاتبعوه، ينادي بها إبليس بصوته.

- بعدة أسانيد معتبرة، عن عبد الله بن سنان، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلًا من همدان يقول له: إن هؤلاء يعيرونا، ويقولون لنا: إنكم تزعمون أن مناديًا ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر، وكان متكئًا فغضب وجلس، ثم قال: لا تروه عني، وارووه عن أبي، ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أني قد سمعت أبي عليه السلام يقول: والله إن ذلك في كتاب الله عز وجل لبيِّن حيث يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء: ألا إن الحق في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، قال: فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي:

---

(1) الكليني، الكافي، م.س، ج8، ص224.

ألا إن الحق في فلان وشيعته فإنه قتل مظلومًا فاطلبوا بدمه»، قال: فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك تبرؤون منا ويتناولونا، فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1].

- بسند معتبر، عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «هما صيحتان صيحة في أول الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية. فقلت: كيف ذلك؟ فقال: واحدة من السماء، وواحدة من إبليس. فقلت: وكيف تعرف هذه من هذه؟ فقال: يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون»[2].
- بسند معتبر، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينادي مناد باسم القائم عليه السلام، قلت: خاص أو عام؟ قال: عام يسمع كل قوم بلسانهم، قلت: فمن يخالف القائم عليه السلام وقد نودي باسمه؟ قال: لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل ويشكك الناس»[3].
- بسند عن زرارة بن أعين، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عجبت أصلحك الله! وإني لأعجب من القائم كيف يُقاتَل، مع ما يرون من العجائب، من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء. فقال: إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة»[4].
- بسند معتبر، عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»[5].

---

(1) النعماني، الغيبة، م.س، ص268.

(2) م.ن، ص274.

(3) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص650.

(4) النعماني، الغيبة، م.س، ص273.

(5) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص584.

- بسند معتبر، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: خروج السفياني من المحتوم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم، وأشياء كان يقولها من المحتوم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: **واختلاف بني فلان من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم وخروج القائم من المحتوم.** قلت: وكيف يكون النداء؟ قال: **ينادي مناد من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم: ألا إن الحق في علي وشيعته. ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض: ألا إن الحق في السفياني وشيعته فعند ذلك يرتاب المبطلون**»[1].
- بسند معتبر عن ابن أبي يعفور، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**أمسك بيدك هلاك الفلاني** - اسم رجل من بني العباس -، **وخروج السفياني، وقتل النفس،** وجيش الخسف والصوت، قلت: وما الصوت، هو المنادي؟ فقال: نعم، وبه يعرف صاحب هذا الأمر، ثم قال: **الفرج كله هلاك الفلاني من بني العباس**»[2].
- بسند معتبر، عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يشمل الناس موت وقتل حتى يلجأ الناس عند ذلك إلى الحرم، فينادي مناد صادق من شدة القتال: فيم القتل والقتال؟! صاحبكم فلان»[3].
- بسند معتبر، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «توقعوا الصوت يأتيكم بغتة من قبل دمشق فيه لكم فرج عظيم»[4].
- بسند معتبر، عن محمد بن مسلم قال: «**ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام، فيسمع ما بين المشرق إلى المغرب، فلا يبقى راقد إلا قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرائيل الروح الأمين**»[5].

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص435

(2) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص266

(3) م.ن، ص275.

(4) م.ن، ص288.

(5) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص454.

- عن الحسن بن محبوب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام - في حديث له طويل اختصرنا منه موضع الحاجة - أنه قال: «لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليجة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض، وكم من مؤمن متأسف حران حزين عند فقد الماء المعين، كأني بهم أسرّ (آيس) ما يكونون، وقد نودوا نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، يكون رحمة للمؤمنين وعذابًا للكافرين»[1].

5. اليماني: وصفت الروايات رايته بأنها أهدى الرايات، وهي أقربها للإمام عليه السلام من حيث الزمن. ويُحتمل في معنى اليماني ثلاثة معان:

- اليماني من اليَمن، أي يخرج من اليمن. وتدلّ عليه الروايات التي صرّحت بخروجه من صنعاء.
- اليماني من اليَمن، بمعنى أنّه ينتسب إلى اليمن بنوع من الانتساب.
- اليماني من اليُمن أي كثرة البركة، فيكون المقصود الأكثر هداية من حيث الاستقطاب، فالناس تلوذ به، فهي راية هداية تجذب الكثيرين.

وإذا أردنا أن نحترم الضوابط التي التزمناها في المنهج السنني، والسريّة جزءٌ منها، فإنه لا معنى لتكلّف الحسم في مكان خروجه وتفاصيل حركته، لمخالفة ذلك لضابطة حماية رايته. ولعلّ التفصيل في صفة السفياني، وتركه في أمر اليماني، يساعد على هذا الفهم، حيث تكون المصلحة في الكشف المُبكر عن شخصية السفياني للتنبيه منه، والاكتفاء في اليماني بما يأتي به من برهان على صدقه ومنه إخباره عن عظائم الأمور. وقد ورد في الروايات الشريفة وصف راية اليماني بأنّها «**أهدى الرايات**»[*]، وذكرت تعليلًا لذلك وهو «لأنه يدعو إلى صاحبكم» أو يدعو إلى الحق كما في بعض الروايات، ويُفهم من هذا التعليل بأنّ الأفضليّة في الهداية ليست لوضوح حقانيتها

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص439.

(*) ورد في كتاب **الغيبة** للنعماني (ص 264):...وليس في الرايات راية أهدى من اليماني، هي راية هدى، لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس كل مسلم...

في قِبال رايات التمهيد الأخرى، كما قد يبدو من عبارة «**أهدى الرايات منفردة**» ومن دون الالتفات إلى التعليل المذكور. إلّا أنّ التأمّل في معنى «**يدعو إلى صاحبكم**» يُساهم في تكوين فهم آخر، خاصّة إذا ضممنا إليه ما ورد في دعاء زمن الغيبة «**اللهم عرّفني حجتك فإنّك إن لم تُعرفني حجتك ضللت عن ديني**»، حيث رُبط الضلال عن الدين - وهو أقصى أنواع الضلال - بعدم معرفة الحجّة عليه السلام، وفي المقابل فإنّ أعظم الهداية للمسلم هي الاهتداء إلى معرفته.

وعليه يُمكن تفسير «**أهدى الرايات**» بملاحظة المهديّ إليه وأهميّته، لا بوضوح الراية وحقانيتها فقط، فإذا ساهمت راية اليماني بإرشاد عددٍ كبير من طلاب الهداية إلى الاعتقاد بإمامة الإمام الثاني عشر، وأوجدت هذا المستوى من التحوّل الثقافي والاجتماعي، وإذا توفّرت في نوعية المهتدين ومكان تواجدهم ومؤهلاتهم الولائية والنفسيّة عناصر التأثير الحاسم في دفع حركة التمهيد إلى حدود امتلاك القدرة وتحقيق شروط الظهور الشريف، حينها تستحق هذه الراية صفة أهدى الرايات.

ويبقى أن نشير إلى أن هذا التفسير لمعنى أنّ راية اليماني أهدى الرايات، ينسجم مع المنهج السنني الذي اعتمدناه، ولا يُلغي المعاني الأخرى المحتملة، والله العالم.

ومن الروايات المعتبرة التي تحدّثت عن علامة خروج اليماني:

- بسند معتبر، عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق**»[1].
- بسند لا بأس به، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**اليماني والسفياني كفرسي رهان**» [2].
- بسند معتبر، عن محمد بن مسلم قال: «يخرج قبل السفياني مصري ويماني»[3].

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص446.

(2) الطوسي، **الآمالي**، مؤسسة البعثة، قم، 1414 هـ، ص661.

(3) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص447.

ثالثًا: البداء وعلامات الظهور

إن الاعتقاد بجريان البداء في علامات الظهور جزءٌ من الاعتقاد الضروري بإطلاق السلطان الإلهي وعمومية مشيئته وعدم تقييدها، وكذلك هو من لوازم الاعتقاد بتأثير اختيار الإنسان في تغيير مصيره والانتقال من مظلة استحقاق العقوبة إلى مظلة استنزال الرحمة والمغفرة، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]، سواءً في المصير الشخصي أو المصير الاجتماعي، ومنه ما ورد في بعض النصوص الشريفة من إمكان جريان البداء في العلامات الحتمية.

فقد جاء في كتاب الغيبة للنعماني: أخبرنا محمد بن همام قال حدثنا محمد بن عبد الله الخالنجي قال: حدثنا أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري قال: «كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال:نعم، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم فقال: إن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد»[2].

وما يجب الوقوف عنده هو السؤال عما يلي:

كيف يمكن الجمع بين الإخبار عن حتميّة العلامة بنصوص صحيحة، وبين جريان البداء فيها، أي نسخها ومحوها وإزالتها؟! فما هي الحكمة إذًا من الإخبار بحتميتها؟! ألا يلزم من عدم تحققها اتّهام المعصوم عليه السلام أنه يُخبر بما يخالف الواقع وبالتالي تكذيبه والعياذ بالله سبحانه، وقد جلّ شأنهم جميعًا عن ذلك!

وإذا وفقنا للجواب عن هذا الإشكال يسهل حينها الالتزام بجريان البداء في غير المحتوم من باب الأولوية.

وللجواب يجب التقديم بمقدمات ضرورية:

1. يعتبر الاعتقاد بالبداء من أفضل العبادات كما ورد في خبر المعصوم عليه السلام «ما

---

(1) سورة الرعد، الآية 39.

(2) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص315.

عُبد الله بشيء مثل البداء»[1]، وما رواه محمد بن جعفر الأسدي رَحِمَهُ اللهُ عن علي بن إبراهيم عن الريان بن الصلت قال: «سمعت أبا الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: **ما بعث الله نبيًا إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء**»[2]. ولعل الوجه في كون الاعتقاد به من أفضل العبادات هو أن هذا الاعتقاد يشكّل قاعدة فكريّة ترسخ الاختيار الإنساني ودور إرادة المكلّف والعبد في تغيير مصيره وبالتالي تنزه المولى عز وجل عن الجبر وما يلازمه من الظلم والعياذ بالله تعالى، ويتكوّن بذلك الدافع النفسي والروحي نحو التوبة والعمل الصالح، ويتجنب العبد بهذا الاعتقاد الوقوع في شَرَك اليأس من رحمة الله تعالى، وكذلك لا يأمن أهل الطاعة سوء العاقبة فيحرصون على البقاء على طاعة الله عز وجل.

2. إن التحذيرات الإلهية والوعيد بالعقوبة هو أسلوب تربوي اعتمده القرآن الكريم للإيقاظ من الغفلة والتنبيه من مخاطر الفساد، وكذلك الوعد بالثواب والجنة فإنه أسلوب تربوي جاذب نحو فعل الصالحات. أما الغاية فهي الفوز بالرحمة الإلهية والسعادة الأبديّة، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3]، وقد فُسّرت بـ «**خلقهم ليرحمَهم**».

وما يتناسب مع كمال المولى عز وجل هو غلبة الرحمة وسبقها على العقوبة إلا في حالة الإصرار والجحود ورفض العبد للفرص التي تتاح له مع كل نَفَسٍ من أنفاسه. وعليه فليس قبيحًا على المولى عز وجل أن لا ينفّذ وعيده بالعقوبة إذا حقق العبد ما تتعلق به الرحمة، ولذلك نجد في بعض الروايات «**أن لله رحمة يوم القيامة تتطاول لها عنق إبليس**». فكيف بالإنسان الضعيف الذي غلبت عليه شقوته وغره ستر الله المرخى عليه في كل حياته؟!

---

(1) الكليني، **الكافي**، م.س، ج1، ص146.

(2) م.ن، ص 148.

(3) سورة هود، الآيتان 118 و119.

أما الوعد بالمثوبة والنجاة لمن أطاع وأصلح فشأنه شأن آخر حيث لا يليق بجلال المولى عز وجل وجماله وكماله أن لا يفي به.

ولتقريب الصورة نضرب مثالًا بشريًا لا يُقاس بكمال المولى العظيم: لو أن والدًا رحيمًا توعّد ابنه بأن يعاقبه بالحرمان من أمرٍ يحبّه في حال لم ينل معدلًا مقبولًا في الامتحانات المدرسيّة (والمفترض في الوالد الحكيم أن يستهدف من وعيده إيجاد الدافع والاهتمام في نفس ابنه ويمنعه من الملاهي التي تضره، وبمعنى آخر يستهدف إصلاحه لا التشفي منه) ولم يوفّق الابن لنيل المعدّل، وجاء إلى أبيه معتذرًا طالبًا العفو راجيًا تفهّم وضعه النفسي والأوضاع المحيطة، والنظر إلى تقدّم معدله عن الأشهر السابقة، ما يوحي بأنه احترم رغبة أبيه وبذل جهدًا ما يستأهل النظر إليه، فإذا عفا الوالد عن ابنه ولم يُجْرِ العقوبة التي توعده بها فليس في ذلك ضيرٌ أو قبح، بل العكس هو الصحيح فالعفو هنا هو الأكمل. أما إذا كان قد وعده بجائزةٍ ما في حال نيله المعدّل ووفّق الابن لذلك فإنّ عدم الوفاء بالوعد هنا قبيح بلا ريب.

3. إن الإخبارات الواردة على لسان المعصومين عليهم السلام عن العلامات المحتومة التي تسبق الظهور الشريف تحمل البعدين السابقين معًا (الوعدي والوعيدي) وهذا ما تقتضيه وظيفة العلامات التحذيرية والتنبيهية. فالسفياني مثلًا بنفسه وعديٌّ وحتميته من هذه الجهة لا شك فيها، لأنّ الإخبار به والتأكيد عليه فيه بركة المنع من قبول أي ادعاء للمهدوية قبله، فيكون بذلك مانعًا من الانحراف العقائدي في زمن الغيبة، وكفى بذلك فائدةً وانتفاعًا للمؤمنين بهذه العلامة. ولعل هذه الخصوصية دعت المعصوم عليه السلام إلى التأكيد على علامة السفياني أكثر من غيرها من المحتومات، فقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام «... **وكفاكم بالسفياني علامة**»[1]. وفي

(1) الكليني، **الكافي**، م.س، ج8، ص264.

ردعه عليه السلام أصحابه المتحمسين للخروج مع بني العبّاس عن الاعتقاد بأن هذه الحركة من بشائر خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه يقول عليه السلام: «**ألا يعلمون أنما يُقتل السفياني**»[1]، يعني كيف تعتقدون براية مهدوية لا يعاديها السفياني الذي يُقتل على يدها؟!

وقد برز ذلك أيضًا في حرص الأئمة عليهم السلام على ذكر اسمه ونسبه وشكله وولائه ومكان خروجه وخط سيره و.... حتى لا يذهب البعض إلى التأويل وحمله على الظاهرة أو الحالة أو غير ذلك، ما يُفقد هذه العلامة دلالتها الإيجابيّة، ووظيفتها في فرز المعسكرات بين الحق والباطل، لأن حملها على غير كونه شخصًا محددًا يحتمل إعمال المزاج الخاص والتأويل ويضع المنتظرين في حالة الاحتمال والشك وهذا ما يخالف ما حرصت الروايات على إبعاده عن الأذهان. نعم لا مانع من ظهور تيّار سفياني يمهد لهذه الشخصية كما لا بدّ من خروج تيّار مهدوي ممهد وسابق لخروج الإمام عجل الله فرجه، والله العالم.

4. لعل ما يُساعد على هذا الفهم - إضافةً إلى ما تقدّم - بعض التأمّل في لسان رواية الإمام الجواد عليه السلام السابقة حيث جوّز جريان البداء «**في**» العلامة المحتومة لا «**بها**»؛ فقد يُفهم منها أن أصل العلامة ليس موردًا لجريان البداء. أما ما تدل عليه «**في**» فهو ظرفها وخصوصياتها وتفاصيلها التي لم تُذكر هي أنها من المحتومات. والكلام هنا جواز جريان البداء لا وجوبه، وقد يجري في مستوى معيّن من مستويات الابتلاء دون المستويات الأخرى، وذلك حسب المقتضيات والموانع التي لا يمكننا تحديدها لجهلنا بالتقديرات الإلهية الحكيمة والسنن الحاكمة في هذه التقديرات، وبالتالي فلا تعارض بين جريان البداء في المحتوم بمعنى الخصوصيات والظروف وبين حتمية أصل العلامة. هذه محاولة لفتح الذهن وتوفير فرصة لقراءة

---

(1) الكليني، **الكافي**، م.س، ج8، ص331.

سننية تنسجم مع المنهج الذي اعتمدناه والذي يُركّز على محورية الاختيار الإنساني في التأثير بحركة التاريخ تحت ظل العناية والتسديد واللطف الإلهي الغيبي الذي لا شك فيه.

رابعًا: خلاصات تحليلية على ضوء المنهج السنني

1. الأصل في الحجيّة الإلهيّة الظهور والجهاد العلني ما لم يكن في ذلك خطر على بقاء الدين المتوقّف على بقاء الحجة ﷺ نفسه وعدم تعريضه للقتل، أو ضمان بقاء الدين بحفظ الحجة السابق للحجة اللاحق إذا اقتضت الضرورة القيام بثورة والشهادة كما حصل في كربلاء. فإذا وصل الأمر إلى درجةٍ ارتبط فيها تحقيق وعد الله تعالى بحفظ حجّته والإبقاء على فعاليته بعيدًا عن الخطر، كان خفاؤه واحتجابه وسيلة لحفظ الدين نفسه، ولزم الانتقال في إدارة الأمة سياسيًا واجتماعيًا وتربويًا وتبليغيًا إلى حجة الحجة وهم الفقهاء الذين يحملون أقرب الصفات إلى كمالات المعصوم عليه السلام، وتكون إدارتهم تحت ظل رعايته وتسديده بما لا يتعارض مع حكمة الغيبة وسريّتها.
2. العامل المؤثّر في تصحيح مسار البشريّة بعد انحرافها بسبب غصب حقوق أوليائها الإلهيين هو الاختيار الإنساني، وذلك بعد أن أنجز الله تعالى ما يليق بجلاله وكماله وحكمته من تعيين الحجة في كل زمن، وقام الحجة ﷺ بما عليه من جهدٍ وبذلٍ في سبيل إنجاز وعد الله تعالى في إظهار دينه على الدين كله.
3. من النتائج المهمة المترتبة على فهم حركة الظهور الشريف بناءً على المنهج السنني وضوح صورة المشهد الذي يسبق الظهور مباشرة، ويمكن تلخيص معالمه بما يلي:
   - نضج التجربة الإنسانية، ويأس الناس ممّا في أيدي الناس.

- الفرز الواضح لخطوط الحق والباطل، وظهور الحجّيّة الموجبة لخروج الإمام ﷺ ثائرًا.
- ضعف وتفكك جبهة الباطل واضطرارها لتكوين تحالف في وجه حركة التمهيد بقيادة السفياني (أموي النسب والأحقاد، إلحادي الثقافة والتبعية، يهودي التحالف والمشروع) الذي يمثّل واجهة الصراع المتشكلة من أعداء رسول الله ﷺ التاريخيين (قريش، واليهود، والروم).
- سطوع نجم القيادة القميّة الخراسانية كقوة دعم كبرى ومرجعية علميّة ممهدة.
- انتشار الظلم بمقدار انتشار الحق، لأن الظلم لا يتحقق كمًا ونوعًا إلا بمقدار الاعتداء على أتباع الحق. وكلّما كانت نوعية الحق واضحة، وتمتلك أتباعًا مستعدين للتضحية والمقاومة كانت أكثر استحقاقًا لأن يخرج إمام الحق لنصرة أتباعها، وكانت مصداقًا أجلى لدلالة الرواية المشهورة: «**يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا**»، وبالتالي فامتلاء الأرض بالظلم ملازم لامتلائها بالحق المظلوم والمعتدى عليه. وكلّما كان الحق أكثر وضوحًا وأتباعه أكثر صدقًا في الانتماء كان الاعتداء عليه أكثر ظلمًا. وهذا الفهم مناقضٌ تمامًا لما يحاول أتباع منهج الانتظار السلبي الترويج له، حيث يرون ضرورة استحكام الفساد وضعف الحق لخروج الإمام ﷺ، غافلين عمّا أوضحناه وعن استحالة أن يكون سبب غيبة الحجّة ﷺ سببًا لظهوره المبارك.

وبهذه المعالجة يمكن لنا أن نطل على فهم بقيّة العلامات. فـ«**المهم هو المعلَّم وليس نفس العلامة**»[1]، فنحن نمهّد لظهور مولانا بقية الله ﷺ والعلامات أضواء على الطريق إليه، مطلوبةٌ للوصول وليست مطلوبة لنفسها.

---

(1) العبارة لسماحة السيد الأستاذ آية الله السيد كاظم الحائري (حفظه الله).

الفصل الرابع

مفهوم الانتظار وواجبات المنتظر

لقد أولى الأئمة عليهم السلام اهتمامًا خاصًا بمفهوم انتظار الفرج، واعتبروه في قمة الأعمال العبادية، وشجعوا الشيعة عليه، ووعدوا المنتظرين لفرجهم بعظيم الدرجات عند الله عزّ وجلّ. ولمعرفة مدى اهتمام الأئمة عليهم السلام بانتظار الفرج، يكفي أن نلقي نظرة سريعة على بعض الروايات التي تتحدّث عن أجر انتظار الفرج:

عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل**»[1].

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «**تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك**

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج52، ص122.

الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقًا، وشيعتنا صدقًا، والدعاة إلى دين الله سرًا وجهرًا، وقال عليه السلام: انتظار الفرج من أعظم الفرج»[1].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج»[2].

وعنه عليه السلام: «الآخذ بأمرنا معنا غدًا في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله»[3].

عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن الإمام الباقر، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضل العبادة انتظار الفرج»[4].

عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه. قال: ثم مكث هنيئة ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه، ثم قال: لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله ﷺ»[5].

عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من مات وليس له إمام فميتته ميتةٌ جاهلية، ومَن مات وهو عارفٌ لإمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أم تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»[6].

---

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، م.س، ج52، ص122.

(2) م.ن، ج52، ص125.

(3) م.ن.

(4) م.ن، ج52، ص126.

(5) م.ن، ج52، ص131.

(6) الكليني، **الكافي**، ج2، كتاب الحجّة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أم تأخّر، ح5.

عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وأنت ممن يريد الدنيا؟! مَن عرف هذا الأمر فقد فرّج عنه بانتظاره»[1].

هذا التأكيد على انتظار الفرج، والثواب العظيم المعدّ للمنتَظر، يدفعنا إلى البحث عن المعنى الحقيقي للانتظار، والواجبات الملقاة على عاتق المنتظر، فلا يُعقل أن يكون كل هذا الأجر والفضل لمجرد الانتظار بمعنى الترقّب فقط لا غير.

(1) الكليني، **الكافي**، ج2، كتاب الحجّة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أم تأخّر، ح3.

المبحث الأول

معنى انتظار الفرج

انتظار الفرج مفهومٌ واسعٌ جدًّا. وأحد أنواعه هو انتظار الفرج النهائيّ؛ أي أنّ الناس عندما يرون طواغيت العالم مشغولين بالنّهب والسلب والإفساد والاعتداء على حقوق النّاس، لا ينبغي أن يتخيّلوا أنّ مصير العالم هو هذا. لا ينبغي أن يُتصوّر أنّه في نهاية المطاف لا بدّ ولا مناص من القبول والإذعان لهذا الوضع، بل ينبغي أن يُعلم أنّ هذا الوضع هو وضعٌ عابر - «**للباطل جولة**»[1] - وأمّا ما هو مرتبطٌ بهذا العالم وطبيعته فهو عبارة عن استقرار حكومة العدل وهي سوف تأتي. إن انتظار الفرج والفتح في نهاية العصر الّذي نحن فيه، حيث تعاني البشرية من الظلم والعذابات، هو مصداقٌ لانتظار الفرج، ولكن لانتظار الفرج مصاديق أخرى أيضًا.

فعندما يُقال لنا انتظار الفرج، فلا يعني انتظار الفرج النهائيّ، بل يعني أنّ كلّ طريقٍ مسدود قابلٌ للفتح. الفرج يعني هذا، الفرج يعني الشقّ والفتح. فالمسلم يتعلّم من خلال درس انتظار الفرج أنّه لا يوجد طريق مسدود في حياة البشر ممّا لا يمكن أن يُفتح، وأنّه لا يجب عليه أن ييأس ويُحبط ويجلس ساكنًا ويقول لا يمكن أن نفعل شيئًا. كلا،

(1) الآمدي، عبد الواحد، **غرر الحكم ودرر الكلم**، دار الأضواء، بيروت، 1992، ص71.

فعندما تظهر في نهاية مطاف حياة البشر ومقابل كلّ هذه الحركات الظالمة والجائرة، عندما تظهر شمس الفرج، فهذا يعني أنّه في كلّ هذه العقبات والسدود الموجودة في الحياة الآن، هناك فرجٌ متوقّع ومحلّ انتظار. هذا هو درس الأمل لكلّ البشرية. وهذا هو درس الانتظار الواقعيّ لجميع النّاس.

لهذا، عُدّ انتظار الفرج من أفضل الأعمال. ويُعلم من ذلك أنّ الانتظار هو عملٌ لا بطالةٌ. فلا ينبغي الاشتباه والتصوّر أنّ الانتظار يعني أن نضع يدًا فوق يد ونبقى منتظرين حتّى يحدث أمرٌ ما. الانتظار عملٌ وتهيّؤٌ وباعثٌ على الاندفاع والحماس في القلب والباطن، وهو نشاطٌ وتحرّكٌ وتجدّدٌ في كلّ المجالات. وهذا هو في الواقع تفسير هذه الآيات القرآنية الكريمة ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1]، أو ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]. أي أنّه لا ينبغي أن تيأس الشعوب والأُمم من الفرج في أيّ وقتٍ من الأوقات.

لهذا ينبغي انتظار الفرج النهائيّ، مثلما ينبغي انتظار الفرج في جميع مراحل الحياة الفردية والاجتماعية. لا تسمحوا لليأس أن يسيطر على قلوبكم، فانتظروا الفرج واعلموا أنّ هذا الفرج سيتحقّق؛ وهو مشروطٌ في أن يكون انتظاركم انتظارًا واقعيًّا، وأن يكون فيه العمل والسعي والاندفاع والتحرّك[3].

إنّنا اليوم ننتظر الفرج؛ أي إنّنا ننتظر مجيء يدٍ مقتدرةٍ تنشر العدل، وتهزم الظلم والجور اللذين سيطرا على كلّ البشرية تقريبًا، فيتبدّل هذا الجوّ من الظلم والجور وينبعث نسيم العدل في حياة البشر لكي يشعر الناس بالعدالة. إنّ هذا هو حاجة أيّ إنسانٍ واعٍ بشكل دائم، الإنسان الّذي لم يجعل رأسه في حجره، ولم يستغرق في حياته

---

(1) سورة القصص، الآية 5.

(2) سورة الأعراف، الآية 128.

(3) الإمام الخامنئي، **إنسان بعمر 250 سنة**، م.س، ص373و374.

الخاصّة، الإنسان الّذي ينظر إلى الحياة العامّة للبشر بنظرة كلّية، فإنه من الطبيعي أن يكون في حالة انتظار. هذا هو معنى الانتظار. فالانتظار يعني عدم الاقتناع والقبول بالوضع الموجود لحياة البشر، وهو السعي من أجل الوصول إلى الوضع المطلوب. ومن المسلَّم به أنّ هذا الوضع المطلوب سوف يتحقّق على اليد المقتدرة لوليّ الله الحجّة ابن الحسن المهديّ، صاحب الزمان عجل الله فرجه.

يجب أن نعدّ أنفسنا كجنودٍ مستعدّين لتلك الظروف والشرائط، ونجاهد في هذا المجال. لا يعني انتظار الفرج أن يجلس الإنسان ولا يفعل أيّ شيء، ولا ينهض لأيّ إصلاحٍ بل يمنّي نفسه بأنّه منتظرٌ لإمام الزمان عليه الصلاة والسلام، فهذا ليس انتظارًا.

ومما تقدم يمكننا معرفة ما هو الانتظار. الانتظار يعني أنّه لا بدّ من مجيء يدٍ قادرةٍ مقتدرةٍ ملكوتيّةٍ إلهيّةٍ وتستعين بهؤلاء الناس من أجل القضاء على سيطرة الظلم، ومن أجل غلبة الحقّ وحاكمية العدل في حياة البشريّة ورفع راية التوحيد، وأن تجعل البشر عبادًا حقيقيين لله. يجب الإعداد لهذا الأمر. فكلّ إقدامٍ على طريق استقرار العدالة يمثّل خطوةً نحو ذلك الهدف الأسمى. الانتظار يعني هذه الأمور. الانتظار حركةٌ وليس سكونًا. ليس الانتظار إهمالًا وقعودًا إلى أن تصلح الأمور بنفسها. الانتظار حركةٌ واستعدادٌ. هذا هو انتظار الفرج[1].

إذًا فالانتظار هو حركة واعية دقيقة منبعثة دائمًا لا تعرف السكون أو اليأس أو الاستسلام أو الركود. والانتظار استعداد مستمر لحدث فجائي قد يحدث غدًا. لذا يمكن توصيف الانتظار بالقول: «**المنتظِر هو الذي يكون حاله الآن كحاله الذي يتمناه عند ظهور الإمام عجل الله فرجه**».

(1) الإمام الخامنئي، **إنسان بعمر 250 سنة**، م.س، ص 374 و375.

المبحث الثاني

واجبات المنتظِر تجاه إمام زمانه

بناءًا على ما مرّ من معنى الانتظار يمكن تحديد نوعين من المسؤولية الواجبة على المنتظِر تجاه إمام زمانه:

- المسؤولية في معرفة إمام الزمان عجل الله فرجه
- المسؤولية في العلاقة مع إمام الزمان عجل الله فرجه

أولًا: المسؤولية في معرفة إمام الزمان عليه السلام

لعل أهم ما يجب معرفته هو التالي(*):

1. الاعتقاد بإمامته كحجة لله تعالى بدليل العقل القاضي بضرورة وجود الحجة في كل زمن، وبدليل النقل بأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، واسمه محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ولقبه المهدي عجل الله فرجه، وهو الموعود لملء الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا. بل هو بشارة جميع الأنبياء عليهم السلام ومحقق وعد الله بإظهار دينه على الدين كلّه.

(*) الكثير مما سنذكره مرّ في طيّات المادة، لذلك سنكتفي بالإشارة إلى العنوان، دون الغوص بالتفاصيل المذكورة سابقًا.

2. معرفة مقامه المعنوي ومعنى كونه الإنسان الكامل والولي الأعظم.
3. الاعتقاد بحياته، ووجوده بين الناس، فهو يعيش بيننا، ويرانا، ويسمع شكوانا، ويساعدنا.
4. معرفة أوجه الاستفادة منه في غيبته.
5. معرفة علّة الغيبة، لأنه كما قلنا لا يتحقق الظهور إلّا بزوال علّة الغيبة.
6. فهم سياق الغيبة، بدءًا بغيبة الفعالية بالغصب والحصار وصولًا إلى الغيبة التامة للشخص المقدّس.
7. معرفة كيف يدير الإمام أمته في غيبته. فالإمام ﷺ وإن كان غائبًا عنّا إلا أنه يرانا، ويرى أمته ويديرها، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولكنّ الحجة تعرف الناس ولا يعرفونها، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون**»[1]. ولا يكتفي الإمام ﷺ بالمشاهدة بل إنه الحافظ لشيعته من الأعداء والمصائب، ففي إحدى رسائله للشيخ المفيد (رضوان الله عليه) يقول الإمام المهدي ﷺ: «**نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين - حسب الذي أرانا الله تعالى من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين - فإنّا نحيط علمًا بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم.... إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء**»[2].

وبالإضافة إلى رؤية الإمام لنا، فإنه كذلك يجتمع مع خواص شيعته، فهم يرونه ويكلمونه. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**للقائم غيبتان إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه**»[3]. ولا ينافي ذلك ما ورد من وجوب تكذيب مَن يدّعي الرؤية

---

(1) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص141.
(2) الطبرسي، **الاحتجاج**، م.س، ج3، ص222.
(3) الكليني، **الكافي**، م.س، ج1. ص340.

بعد السفير الرابع، فقد حملها اغلب علمائنا على مدّعي دوام الرؤية والسفارة بقرينة ما ورد في التوقيع الذي نقله السفير الرابع، وحصول الرؤية عند مَن لا يمكن تكذيبهم.

ولعل أهم نقطة في إدارة الإمام ﷺ لأمته هي اعتماده على الفقهاء العدول، لذا يجب على كل منتظر للإمام أن ينقاد لمن ولّاه الإمام عليه أي الفقهاء لأنهم حجة الإمام علينا، فعنه ﷺ: «**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله**»[1].

8. معرفة مخاطر الغيبة على الشيعة، وما يجري عليهم من البلاء والتمحيص في غيبته. فهذه المعرفة تدفع إلى الاستعداد للتمحيص وبناء النفس وإعدادها خشية الانحراف عن المسيرة، أو السقوط في اختبار التمحيص. والروايات في التمحيص زمن الغيبة كثيرة، منها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**والله لتميّزُن، والله لتمحّصنّ، والله لتغربلنّ كما يغربل الزؤان من القمح**»[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**والله لتمحّصن حتى لا يبقى منكم إلّا الأقل، وصعّر كفّه (الإمام)**»[3].
9. معرفة السنن الحاكمة على حركة البشرية وتكامل التاريخ.
10. الفهم الصحيح لعلامات الظهور ووظيفتها.

ثانيًا: المسؤولية في العلاقة مع إمام الزمان ﷺ

أبرز المسؤوليات المتوجبة علينا في علاقتنا مع إمام زماننا ﷺ هي[4]:

1. **الحزن لغيبته**: أن يكون المنتظِر مهمومًا مغمومًا لأجل الإمام ﷺ في زمن الغيبة وذلك لأمور، منها:

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص242.

(2) النعماني، **الغيبة**، م.س، ص213.

(3) م.ن.

(4) انظر: القمي، عباس، **منتهى الآمال**، م.س، ج2، ص. ص641-650.

- غيابه ﷺ عنّا بحيث لا نتمكّن من الوصول إليه، وإنارة أبصارنا بالنظر إلى جماله. نقرأ في دعاء الندبة: «عزيز عليّ أن أرى الخلق ولا تُرى، ولا أسمع لك حسيسًا ولا نجوى، عزيز عليّ أن تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى، بنفسي أنت من مغيّبٍ لم يخل منّا، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنّا، بنفسي أنت أمنيّة شائق يتمنّى من مؤمن ومؤمنة ذكرا فحنّا، بنفسي أنت من عقيد عزٍّ لا يُسامى... عزيز عليّ أن أبكيك ويخذلك الورى...»[1]، إلى آخر الدعاء الذي هو نموذج لمناجاة من ارتشف من كأس محبّته.
- عدم تمكّنه ﷺ من إجراء الأحكام والحقوق والحدود، وكون حقّه في يد غيره. فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لعبد الله بن ظبيان: «يا عبد الله ما من عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلاّ وهو يتجدد فيه لآل محمّد حزن، قلت: فلم؟ قال: لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم»[2].

وروي أيضًا عن سدير الصيرفي أنّه قال: «دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فرأيناه جالسًا على التراب، وعليه مسح خيبري مطوّق بلا جيب مقصّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى ذات الكبد الحرى، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه وهو يقول: سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزّت منّي راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد، فما أحسّ بدمعة ترقى من عيني، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزّايا وسوالف البلايا إلاّ مثّل بعيني عن غوابر أعظمها وأفظعها، وبواقي أشدّها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك.

---

(1) القمي، عباس، **مفاتيح الجنان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص536.

(2) الطوسي، **تهذيب الأحكام**، دار الكتب الإسلامية، إيران، ج3، ص289.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهًا، وتصدّعت قلوبنا جزعًا من ذلك الخطب الهائل... فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك من أيّة حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك؟

قال: فزفر الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه واشتّد عنها خوفه، وقال: ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خصّ الله به محمّدًا صلى الله عليه وآله والأئمّة من بعده، وتأمّلت منه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم فأخذتني الرقّة، واستولت عليّ الأحزان...»[1]

2. الدعاء لحفظ الإمام عليه السلام من شرّ شياطين الجنّ والإنس، ولتعجيل نصرته وغلبته على الكفار والملحدين والمنافقين، فإنّ هذا قسم من أقسام إظهار المحبّة وكثرة الشوق، والأدعية في هذا الباب كثيرة، منها ما روي عن يونس بن عبد الرحمن أنّ الإمام الرضا عليه السلام كان يأمر بالدعاء للقائم عليه السلام بهذا الدعاء: «اللهم ادفع عن وليك وخليفتك وحجتك...»[2].

ومنها الدعاء المشهور «اللهم كن لوليّك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة، وليًا وحافظًا، وقائدًا وناصرًا، ودليلًا وعينًا، حتى تسكنه أرضك طوعًا وتمتّعه فيها طويلًا».

3. إعطاء الصدقة عنه عجل الله فرجه لحفظه في أيّ وقت وبأيّ مقدار كانت، ولا بدّ من استجلاب كلّ الوسائل والأسباب التي لها دخل في صحته عجل الله فرجه وعافيته، ودفع البلاء عنه، كالدعاء والتضرّع والتصدّق والتوسّل، لعدم وجود نفس أعزّ ولا أكرم من نفس إمام

---

(1) الطوسي، **الغيبة**، م.س، ص168.

(2) الدعاء مذكور في كتاب **مفاتيح الجنان** في باب زيارة صاحب الأمر عليه السلام.

العصر (أرواحنا فداه)، بل لا بدّ أن تكون نفسه أعزّ وأحبّ إلينا من أنفسنا، وخلاف ذلك يكون ضعفًا ومنقصة في الدين وخللًا في العقيدة، كما روي بأسانيد معتبرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبّ إليه من عترته...**»[1].

وكيف لا يكون كذلك والحال أنّ وجود وحياة جميع الموجودات، وكذلك دينها وعقلها وصحتها وعافيتها وسائر النعم الظاهريّة والباطنية، إنّما هي من بركات وجوده المقدّس ووجود أوصيائه عليهم السلام.

ولما كان ناموس العصر، ومدار الدهر، ومنار الشمس والقمر، وصاحب هذا العالم، وسبب سكون الأرض، وسير الأفلاك، ونظم أمور الدنيا، والحاضر في قلوب الأخيار، والغائب عن عيون الأغيار، هو الحجة ابن الحسن عجل الله فرجه، فلا بدّ لجميع الأفراد الأنانيين الذين أهمّتهم أنفسهم وانشغلوا في حفظها وحراستها وسلامتها فضلًا عمّن يعتقدون بأنّ غير وجوده المقدس لا يليق للوجود، ولا يستحق العافية والسلامة؛ لا بدّ أن يكون غرضهم الأصيل ومقصودهم الأولي، التمسّك بكلّ الوسائل والأسباب المقرّرة والمذكورة التي لها دخل في الصحة والسلامة ودفع البلايا وقضاء الحوائج كالدعاء والتضرّع والتصدّق والتوسّل، من أجل سلامة إمامه، وحفظ وجوده المقدس.

4. **الحج عنه عليه السلام أو الاستنابة له**، كما كان ذلك مرسومًا عند الشيعة منذ القدم، وأقرّهم عليه السلام بذلك.
5. **القيام عند سماع اسمه الكريم لا سيّما اسم (القائم)**، كما كان ذلك سيرة جميع طبقات الإماميّة، وهذا يدلّ على وجود مصدر وأصل لهذا العمل، وإن لم يُر هذا المصدر إلى الآن، لكن سُمع عن بعض العلماء الخبراء بأنّهم رأوا خبرًا يدلّ عليه، بأنّ بعض العلماء ذكر أنّ هذا المطلب قد سُئل عنه العالم المتبحّر الجليل السيد عبد

---

(1) الصدوق، **علل الشرائع**، المكتبة الحيدرية، النجف، 1966، ج1، ص140.

الله سبط المحدّث الجزائري، فأجاب رَحِمَهُ اللهُ عنه في بعض تصانيفه بأنّه رأى خبرًا مضمونه: أنّ اسم القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكر يومًا عند الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقام الإمام تعظيمًا واحترامًا لاسمه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كذلك فإن السيد حسن الموسوي الكاظمي، كتب في تكملة أمل الآمل ما حاصله: كتب أحد علماء الإمامية، وهو عبد الرضا بن محمّد من أولاد المتوكّل، كتابًا في وفاة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ اسمه (تأجيج نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان) ومن منفردات هذا الكتاب أنّه قال: لما أنشد دعبل الخزاعي قصيدته التائية على الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولمّا وصل إلى قوله:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات

قام الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ على قدميه، وأطرق رأسه إلى الأرض، ثم وضع يده اليمنى على رأسه وقال: اللهم عجّل فرجه ومخرجه، وانصرنا به نصرًا عزيزًا[1].

6. التضرّع إلى الله تعالى ومسألته أن يحفظ إيمان المنتظرين من تطرّق شبهات الشياطين وزنادقة المسلمين، وقراءة الأدعية الواردة في هذا الباب، منها الدعاء الذي رواه الشيخ الكليني بأسانيد متعدّدة عن زرارة أنّه قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إنّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولم؟ قال: يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه -. قال زرارة: قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أيّ شيء أعمل؟ قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: اللهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنّك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني»[2]. وهذا أول دعاء زمن الغيبة المذكور في مفاتيح الجنان.
7. الاستغاثة والاستعانة به عَلَيْهِ السَّلَامُ في الشدائد والأهوال، والبلايا والأمراض، وحلول

---

(1) القمي، عباس، منتهى الآمال، م.س، ج2، ص648.
(2) الكليني، الكافي، م.س، ج1، ص337.

الشبهات والفتن من مختلف الجوانب، وطلب حلّ المشاكل والشبهات ورفع الكربات ودفع البلايا، لأنّه عليه السلام وبحسب القدرة الإلهية والعلوم اللدنيّة الربّانيّة، عالم بأحوال العباد وقادر على إجابة مرادهم، عامّ الفيض لا ولن يغفل عن النظر في أمور رعاياه، وهو بنفسه قال في التوقيع الذي خرج إلى الشيخ المفيد: «... فإنّا يحيط علمنا بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالزلل الذي أصابكم...»[1].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «ما من ملك يهبطه الله في أمر إلاّ بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإنّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر»[2].

ويُنقل عن أحد أهل المعرفة أنّ أحبَّ نداء ووصف للإمام في الاستغاثة به هو: «يا بقية الله»، لذا ينصح بهذا النداء: «يا بقية الله أدركني، يا بقيّة الله أغثني».

وعن رميلة أنّه قال: «وعكت وعكًا شديدًا في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، فوجدت من نفسي خفة يوم الجمعة، فقلت: لا أصيب شيئًا أفضل من أن أفيض عليّ من الماء وأُصلّي خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ففعلت ثم جئت المسجد، فلمّا صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر عاد عليّ ذلك الوعك.

فلمّا انصرف أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكان إقامته ودخلت معه، فالتفت إليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا رميلة ما لي رأيتك وأنت منشبك بعضك في بعض؟ فقصصت عليه القصة التي كنت فيها، والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه. فقال لي: يا رميلة ليس من مؤمن يمرض إلاّ مرضنا لمرضه، ولا يحزن إلاّ حزنّا لحزنه، ولا يدعو إلاّ أمنّا له، ولا يسكت إلاّ دعونا له، فقلت: يا أمير المؤمنين جعلت فداك هذا لمن معك (يقصد في نفس المكان)، أرأيت مَن كان في أطراف الأرض؟ قال:

---

(1) الطبرسي، **الاحتجاج**، م.س، ص322.

(2) الكليني، **الكافي**، م.س، ج1، ص394.

يا رميلة ليس يغيب عنّا مؤمن في شرق الأرض ولا غربها»[1].

وروي في تحفة الزائر للمجلسي، ومفاتيح النجاة للسبزواري: من كانت له حاجة فليكتبها في رقعة ويقذفها في ضريح أحد الأئمّة عليهم السلام، أو يمهرها ويضعها في طين طاهر، ويقذفها في نهر أو بئر عميقة أو غدير ماء كي تصل إلى يد صاحب الزمان عجل الله فرجه، وهو عجل الله فرجه يتولى قضاء حاجته.

وخلاصة الحال أنّ صاحب الأمر عجل الله فرجه حاضر بين العباد، وناظر إلى أعمالهم وأحوالهم، وقادر على كشف البلايا عنهم، وعالم بأسرارهم وخفاياهم، ولم يكن معزولًا عن منصب الخلافة بسبب غيبته واستتاره عن الناس، ولم يترك الرئاسة الإلهيّة، ولم يظهر العجز عن قدرته الرّبانية، وإن شاء حلّ مشاكل القلوب من دون أيّ سعي وفعاليّة، وإن شاء شوّق قلب المضطر لكتاب أو لعالم عنده دواء دائه، أو يُلهمه دعاء أو يعلّمه دواءه في المنام.

8. زيارته تعبيرًا عن الحب له والشوق إليه، وتجديدًا لبيعته، ومن الزيارات المهمّة الزيارة المعروفة بزيارة آل ياسين.
9. ربط السلوك برقابته، فأعمالنا تُعرض عليه، فيفرح بالحسن منها، ويحزن بالقبيح منها، وقد ورد في رسالته للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): «**فإن نحيط علمًا بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيءٌ من أخباركم**»[2].
10. إدخال السرور إلى قلبه بامتثال ما يرضيه وتجنّب ما يكرهه، والالتفات إلى أن أهم ما يمنع ظهوره المبارك أعمالنا السيئة التي يكره، فقد ورد في رسالته إلى الشيخ المفيد (رضوان الله عليه): «... **فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا مما نكرهه وما** نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل»[3].

---

(1) الصفار، محمد بن الحسن، **بصائر الدرجات**، م.س، ص280.
(2) الطبرسي، **الاحتجاج**، م.س، ج2، ص322.
(3) م.ن، ج2، ص325.

11. **الاستعداد لظهوره**، والعمل لنكون من قادة جيشه، فالإمام عليه السلام يحتاج في حركته إلى قادة، ما يوجب على أتباعه أن يكونوا متطلعين وساعين لبلوغ أعلى مراتب القرب والوظائف في دولة الإمام، فمن كان من الله أقرب فهو عند الإمام أقرب. فلا بد من شدّ العزم لتحصيل المواصفات الضرورية لرضا الإمام عليه السلام، والتي هي عين المواصفات لتحصيل رضا الله عز وجل. فالحكيم البصير هو الذي يكتشف بالتحديد مسؤولياته وتكليفه ولا يستهلك عمره في أمور قد لا تنفع. وهنا من المهم والضروري تحديد الأولويات، وهذا يحتاج إلى ناظم وولي متصد في عصر الغيبة، يمهّد الأنفس لقبول الإمام، وولايته يجب أن تكون ولاية شاملة، ولاية حاكم لا مرشد أو واعظ، ينكشف فيه مقدار ولاء المؤمن وطاعته، وحينما يظهر الإمام يكون مهيئًا لطاعته.

خاتمة

تلخّص من عرض أفكار هذا الكتاب أن حركة التاريخ تسير طبقًا لسننٍ وتقديرات إلهيّة، وأن للاختيار البشري دورٌ حاسمٌ في تحديد اتجاهاته الصعودية والتسافلية. وقد بيّنّا بشكل مكثّف أن حركة الإمام المهدي ﷺ ليست استثناءً من هذه السنن، مع الاعتراف بأن جزءًا كبيرًا من التقديرات لا زالت مضمرة وخافية، وذلك لحكمة الله سبحانه في الابتلاء والتمحيص والاختبار والغربلة، وللطفه تعالى الظاهر في منع اليأس مع طول استشعار المدّة، ومنع التكاسل عن العمل في سبيل تحقيق إرادته مع استشعار قرب زمن الظهور المبارك.

وتبيّن لدينا أن من القوانين الّتي يجب احترامها في فهم هذه الحركة المباركة:

1. الاختيار
2. البداء
3. السريّة
4. العولمة

وذلك بحسب مقتضيات الأصول الاعتقادية والمعطيات الروائية والسننيّة.

وعليه فالكتاب يتوجّه إليك أيّها القارئ العزيز برسالة الاهتمام بصناعة العلامات والتأثير بالأحداث، ويطلب منك عدم التوقّف عند العلامات إلّا بمقدار الإشارة

والاستبشار وزيادة اليقين، والتركيز على بلوغ المعلَّم بالعلامة أو تحقيق صفات المنتظر الحقيقي، حيث لا يضرّ من اتصف بهذا الوصف تأخر الظهور أو تقدّمه.

وقد لاحظتم بأنّنا لم نستغرق في بحث العلامات والسيناريوهات المتوقعة على ضوء الروايات وذلك احترامًا لضوابط المنهج الذي اعتمدناه. ولم نتعرّض لبحث صورة ومشهد العالم بعد ظهور الإمام (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) رغم توفّر المعطيات الروائية حول ذلك، لأن هذا البحث يحتاج إلى معالجة مستقلّة وكتاب آخر، ولا يمكن إدراجه هنا حرصًا على عدم خروج الكتاب عن أهدافه المرسومة له.

اللّهم عجّل لوليك الفرج والنصر والعافية واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمقوية سلطانه والمرضيين عنده ووفقنا للشهادة بين يديه، وإذا لم تُقدّر لنا التشرّف بلقائه فلا تحرمنا ثواب المنتظرين له والمجاهدين بين يديه تحت ظل راية نائبه وحجته في غيبته مولانا الإمام الخامنئي (أرواحنا فداه).

اللهمّ تقبّل بضاعتنا المزجاة بقبولٍ حسنٍ واجعل هذه الجهد الوضيع في جنب نعمك خالصًا لوجهك الكريم وكفّارةً عن ذنوبنا وذنوب من لهم حق علينا ومَن بَذل جهدًا في هذا الكتاب. إنّك أنت الرؤوف الرحيم.

وصلّ اللهمّ على سيدنا محمدٍ وآله الطاهرين.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ط2، دار إحياء الكتب العربية، 1967.
3. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، 1995.
4. الأربلي، ابن أبي الفتح، كشف الغمة، دار الأضواء، بيروت.
5. الأصفهاني، محمد تقي، مكيال المكارم، تح: علي عاشور، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2001.
6. الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، دار الأضواء، بيروت، 1992.
7. البحراني، هاشم، غاية المرام، تحقيق علي عاشور.
8. بركات، أكرم، قافلة البشرية، بيت السراج للثقافة والنشر، بيروت، 2014.
9. التنكابني، محمد بن سليمان، قصص العلماء، تر:مالك وهبة، دار المحجة البيضاء، بيروت، 1992.
10. الحائري، محمد مهدي، شجرة طوبى، ط5، النجف، المكتبة الحيدرية.
11. الحنيفي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

12. الحلّي، خلاصة الأقوال، مركز آل البيت العالمي للمعلومات.
13. الإمام الخامنئي، إنسان بعمر 250 سنة، مركز نون للتأليف والنشر، بيروت،2013.
14. الحرّ العاملي، أمل الآمل، مكتبة الأندلس، بغداد.
15. الصدر، محمد باقر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دار المعارف الحكمية، بيروت، 2014.
16. الصدوق، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف، 1966.
17. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1405هـ.
18. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، بيروت، الأعلمي للمطبوعات، 2012.
19. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، تح: حسن كوجا باغي، مؤسسة الأعلمي، طهران، 1404 هـ.
20. الطبرسي، الاحتجاج، مؤسسة النعمان، النجف، 1966.
21. الطبرسي، مجمع البيان، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، 1997.
22. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، تعليق ميرداماد الأسترأبادي، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، 1983.
23. الطوسي، الآمالي، مؤسسة البعثة، قم، 1414 هـ.
24. الطوسي، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، إيران.
25. الطوسي، الغيبة، منشورات الفجر، بيروت.
26. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، تعريب محمد رضا النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
27. القمي، عباس، منتهى الآمال، تعريب نادر التقي، الدار الإسلامية، بيروت، 2003.
28. القندوزي، ينابيع المودة، دار الأسوة للطباعة والنشر، 1416هـ.
29. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط2، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1389هـ.
30. الكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي، مؤسسة المعارف، قم، 1411 هـ.

31. المتقي الهندي، كنز العمال، ط5، مؤسسة الرسالة، 1981.
32. المجلسي، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
33. المفيد، الإرشاد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1995.
34. المفيد، الآمالي، ط2، تحقيق حسين الأستادولي وعلي أكبر الغضادري، دار المفيد، بيروت، 1993.
35. المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، تاريخ الإسلام، ط3، قم، 1425هـ.
36. منهجية الثورة الإسلامية: مقتطفات وآراء من فكر الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، 1966.
37. النجاشي، رجال النجاشي، مركز آل البيت العالمي للمعلومات.
38. النعماني، الغيبة، دار الجوادين، بيروت، 2011.
39. وهبي، مالك، ما صحّ من علامات الظهور.